هُوَ اللّٰه

د.هاني كشك

هو الله

- عرفته في صلب أبي آدم حين أشهدني على ربوبيته.. فمعرفته مركوزة في فطرتي.
- وعرفته حين تفتحت عيناي ووعت أذناي فجالت في واسع ملكه وبديع خلقه.
- ثم عرفته حين تلوت كلامه وتأملت في آياته.. فعرفت ما وصف به نفسه.. وما سمى به ذاته.
- وعرفته بصفات كماله وجماله وجلاله.
- وعرفته بأسمائه وأفعاله وأيامه.
- وعرفت ما يحب وما يكره.. وما يرضيه وما يغضبه.
- وعرفت ما أمرني به .. وما نهاني عنه.
- فهلم بنا نتعرف إليه سوياً.
- فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة.

معرفته حياة قلبك

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما .. وملء ما شاء ربنا من شيء بعد.. أهل الثناء والمجد.. أحق ما قال العبد وكلنا له عبد: "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد".

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. إمام العارفين بالله رب العالمين.. والذي امتنَّ الله على المؤمنين ببعثته إليهم.. يتلو عليهم آياته ليعرفهم بربهم وأسمائه وصفاته وأفعاله وأيامه.. ويزكيهم بهذه المعرفة.

..وبعد

فهذا الكتاب يفتح الباب إلى أشرف العلوم وأزكاها وأرفعها.. العلم بالله تعالى..

فأيُ علمٍ أشرف وأزكى وأرفع من العلم بإله الكون وفاطر السموات والأرض.. الذي خلقنا ويرزقنا ويقوم على شؤوننا..ولا غناء لنا عنه ولا لطرفة عين.. العلم بأسمائه وبصفاته وأفعاله..العلم بسننه في

ملكه.. وكيف يتعامل مع خلقه.. وما يحب وما يكره.. وما يرضيه وما يغضبه.. إذ كيف نعبد ربنا حق عبادته ونحن لا نعرفه حق معرفته ؟!

والمعرفة الحقة تتضمن عدة أمور:

الأول: التأمل في معاني الأسماء والصفات ..لتحصيل الفهم لتلك المعاني..ومعرفة ما يتضمنه كل اسم لغيره من الأسماء والصفات.

الثاني: معايشة القلب واستشعاره لمعاني هذه الأسماء والصفات.

الثالث: الدعاء بها.. كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾

فيسأل الله أن يرحمه باسمه الرحيم.. وأن يكرمه باسمه الكريم.. وأن يرزقه باسمه الرزاق..وأن يتولاه باسمه الولي.. وهكذا

الرابع: العمل بمقتضى هذه الأسماء والصفات.. فمن عرف أن الله كريم أكرم الخلق ابتغاء مرضاة الله.. ومن عرف أن الله رحيم رحم العباد رجاء أن يرحمه الله.. ومن عرف أن الله يراقبه ويعلم سره وعلانيته اتقى الله وخافه وامتنع عن إتيان ما يغضبه .. ومن عرف

أن الله وكيل توكل عليه دون سواه وفوض أموره إليه وتولاه.. وهكذا في جميع الأسماء والصفات والأفعال.

والكتاب يحوي أربعة فصول:

- مفتاح المعرفة:

والهدف منه تعويد النفس على التأمل في آيات الله المنظورة في أنفسنا وفيما حولنا من مخلوقاته..والتأمل في آياته المنزلة في القرآن الكريم.. فهذا التأمل هو مفتاح المعرفة.

- جنة الدنيا:

وفيه نتعرف إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.. مع عرضها في تصنيف فريد يهدف إلى تسهيل الفهم والحفظ والمعايشة..

وهذا التصنيف الجديد محض اجتهاد.. لا أدعي أنه الحق المطلق.. ولكنه في رأيي صواب يحتمل الخطأ.. فما كان فيه من صواب فمن الله.. وما كان فيه من خطأ فمن نفسي..

ولا نهدف هنا إلى البحث في تعيين الأسماء وتمييزها عن الصفات.. فليس هذا من أهداف الكتاب .. وإنما نهدف إلى التعرف على الله تعالى من خلال صفاته وأفعاله سواء منها ما كان اسماً أو لم يكن.. فباب الصفات أوسع من باب الأسماء.

فمن وجد فيما يقرأ اسماً لله تعالى هو محل خلاف بين العلماء فليأخذ منه "معنى الصفة" ويترك الخلاف جانباً..فالمقصود هو المعنى وليس المقصود تعيين الاسم..

فمثلاً: "المحيط" اختلف بعض العلماء هل هو اسم من الأسماء الحسنى أم لا.. ولكن لم يختلف أحد على أن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقدرةً وتدبيراً.. وأنه بكل شيء محيط..

وهذا المعنى هو المقصود هنا بغض النظر عن الخلاف في تعيين الأسماء.. وكذلك "الهادي" و "الصادق" و"ذو الجلال والإكرام" وغيرها.

وكل هذه الصفات والأفعال نستقيها من القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة .. ونتناول معانيها كما فهمها أصحاب

رسول الله ﷺ ومن تبعهم من سلف هذه الأمة ..من غير تكييف ولا تمثيل.. ولا تحريف ولا تعطيل .. فالهدف من هذا الكتاب هو ربط القلوب بالله -عز وجل- من خلال معرفته الحقة الصافية من شوائب البدع والأفهام المغلوطة.

- عرفت فالزم:

وفيه نتعرف على كيفية التعامل معه —سبحانه- بماتقتضيه هذه المعرفة .. وهو التطبيق العملي لمعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.. فليس الهدف هو المعرفة المجردة .. بل الهدف هو التقرب إلى الله تعالى بمقتضى معرفته.

- فادعوه بها:

والهدف منه:

- التعرف إلى الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته.. في صورة مناجاة من العبد لربه الذي عرفه.. فيدعوه بما عرف من صفات كماله وجماله وجلاله.

- لمس القلب بهذه المعرفة.. فليس الهدف من هذا الكتاب مجرد المعرفة النظرية.. بل الهدف أن يعيش القلب هذه المعرفة.. ويحيا بها.. وأن تكون سبيلاً إلى الوصول إلى محبة الله تعالى ورضوانه.. فإذا قرأت شيئاً من هذه المناجاة فأصابك الخشوع..وأجرى الله من عينيك الدموع..فاترك الكتاب جانباً .. وقم فتوضأ وصلِّ ركعتين وأطل السجود.. وابْكِ بين يدي ربك واسأله أن يرزق قلبك حسن معرفته.
- تقديم نموذج لدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى كما أمرنا – سبحانه– بذلك فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.. ولكن لا ينبغي لأحد أن يتقيد في دعائه بشيء مما جاء في هذه المناجاة.. فهي محض اجتهاد (عدا بعض الدعوات القرآنية الكريمة أو النبوية الشريفة في بعض المواضع).. ولكن على كل منا حين يعرف الله بصفة من صفاته ..ويستشعر قلبه هذه الصفة .. أن يدعوه سبحانه بمقتضى هذه الصفة .. بما يخرج من قلبه من دعاء.

ولنحاول أن نقرأ هذا الفصل مرة بقلوبنا ومرة بعقولنا ، فقراءته بالقلب أحسبها تقربنا من الرب.. وقراءته بالعقل تفتح لنا من أبواب معرفته ما يأذن به سبحانه.

وفي الختام أود أن أنبه إلى أن جميع الأحاديث النبوية المذكورة في الكتاب أو التي استقيت منها الأسماء والصفات هي صحيحة السند والمتن ولكني لم أخرجها في الكتاب فمن أراد أن يتحقق منها فالبحث في موسوعات الحديث على الإنترنت أو تطبيقات الجوال يسير والحمد لله.

وكذلك ما أوردت من آيات القرآن الكريم لم أذكر أسماء السور الواردة فيها.. فعليك بتطبيقات المصحف الشريف على جوالك للبحث عنها لتتعود على البحث في القرآن الكريم وتدبر آياته.

وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.. وأن يتجاوز عما كان فيه من خطأ.. وأن ينفع به كاتبه وقارئه.

وصلى الله على خير العارفين بالله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

د.هاني كشك

غرة رجب 1444

مفتاح المعرفة

من أوسع أبواب معرفة الله عز وجل **التأمل** في صفحات الكون المفتوحة.. ففي كل شيء في هذا الكون آية على صفة من صفات الرب الجليل سبحانه.. وهذا يحتاج إلى ممارسة منك بتوفيق من الله عز وجل .. فاستعن بالفتاح حتى يفتح بصرك وبصيرتك لآياته في خلقه وتصريفه للحوادث .

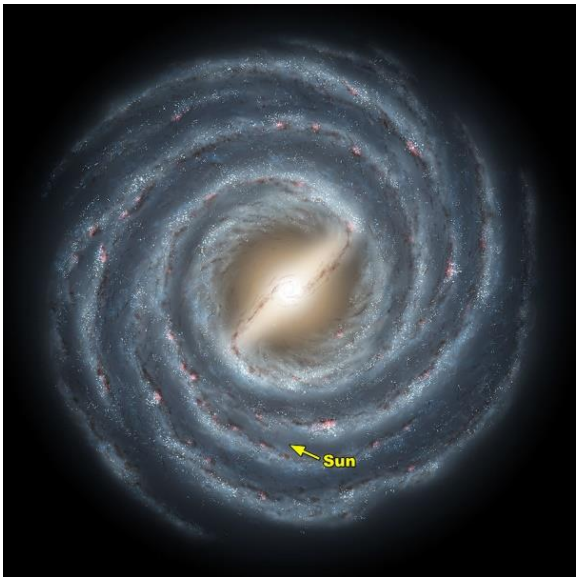

فمثلاً إذا نظرت إلى هذه الصورة ترى مجرة الطريق اللبني التي ينتمي إليها كوكبنا العزيز..

فهل تتصور أن هذه المجرة تتكون من 200 بليون نجم.. تعتبر شمسنا العزيزة من أصغرها؟

أي أن الشمس –التي لا تصلح حياتنا بدونها – لا تشكل إلا نقطة في هذه الصورة..

أي أن كوكب الأرض الذي يساوي حجمه أقل من واحد على مليون من حجم الشمس لا يظهر أصلاً في هذه الصورة لفرط ضآلته وصغر حجمه..

هذا الكوكب الذي يتصارع فوقه بلايين من بني آدم على المال والذهب والنفط والنفوذ والشهوات.. وما هو إلا ذرة في بناء الكون الرهيب.

هذه المجرة التي يبلغ عرضها 90 ألف سنة ضوئية أي ما يعادل (850 ألف مليون مليون كيلومتر).. هي واحدة من ملايين المجرات التي تم اكتشافها حتى الآن.

فهل تعلم أن ما اكتشفه الإنسان حتى الآن من هذا الكون –وهو ما يسمى بالكون المرئي– يبلغ عرضه 14 بليون سنة ضوئية أي ما يعادل (132.5 ألف مليون مليون مليون كيلومتر)!! هذا ما نراه.. وما خفي أعظم!

حين تنظر إلى هذه الصورة وتعلم هذه الأرقام..

ألا تستشعر اسم الله العلي؟

ألا تستشعر اسم الله العظيم؟

ألا تستشعر اسم الله الكبير؟

ألا تستشعر اسم الله الواسع؟

ألا يضيء في قلبك وعقلك فهم أوضح لقول الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ؟

ألا تستشعر عظمة مُلك الله تعالى حين تقرأ قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾ ؟

ألا تطأطئ رأسك خجلاً منه حين تقرأ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؟

هل تستشعر الآن قدرة الله تعالى وعظيم علمه وإحاطته حين تقرأ قوله: ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أو فِي السَّمِوَاتِ أو فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾؟

ألا ترتعش يدك وهي تمتد إلى المصحف الذي يحوي كلام هذا الملك العظيم الموجه إليك أنت.. أنت أيها المخلوق الضعيف على هذه الأرض الصغيرة التي لا تساوي في ملكه مثقال ذرة ؟

هل تحس بالتكريم الإلهي العظيم لك أن اختارك أنت لينفخ فيك من روحه ويحملك أمانة الخلافة في الأرض ؟

ألا تشعر بالعزة وأنت عبد لهذا الملك العظيم؟

ألا زلت تخاف من فلان الذي يعاديك على دينك ويهددك بقوته وجبروته بعد أن رأيت قوة وَلِيِّك وسيدك صاحب هذا الدين؟

ثم هل تستشعر عظيم فضل الله على عباده المؤمنين حين تقرأ قوله:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ ؟

أي لو افترضنا أن مانراه من الكون هو العرض الحقيقي له يكون عرض هذه الجنة على الأقل (132.5ألف مليون مليون مليون كيلومتر)!!

فسبحانك ربنا ما قدرناك حق قدرك.. ولا عبدناك حق عبادتك.

هذا مجرد مثال واحد على التأمل في آيات الله الكونية.. وإلا فالكون مشحون بآيات تحتاج لمن يتفكر فيها ويمعن النظر ..وأولئك هم أولوا الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السِّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾.

كذلك التأمل في آيات الله المسطورة في كتابه المحفوظ.. فلا تكاد تمر بآية إلا وفيها ما تتعرف به على اسم لله أو صفة له أو فعل منه أو محبوب له أو مكروه لديه..

وإليك بعض الأمثلة على تأملات في كتاب الله للتعرف من خلالها علي الله تعالى..وعلى بعض مراداته من خلقه.. وهي ليست على سبيل الحصر بل على سبيل المثال حتى نتدرب على فعل ذلك في كل آية نمر بها في كتاب الله عز وجل.

أم القرآن

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ﴾

حين تتأمل في فاتحة الكتاب ترى العجب العجاب.. فهذه السورة ذات الآيات السبع.. جمع الله -تعالى- فيها أصول الدين كله.. بما في ذلك أصول أسمائه وصفاته.. وأصول العقيدة والعبادات والآداب.

فبدأت بذكر الأسماء الأعلام الثلاث له -تبارك وتعالى- والتي لا يسمى بها غيره وهي: "الله" و"الرب" "رب العالمين" و"الرحمن".

ثم جاءت الصفات الثلاث الجامعة والتي هي أصل للصفات كلها[1] وهي:

أن له "الحمد" فهو "الحميد".. وهذا أصل جميع صفات الكمال.. فجميع صفاته وأفعاله محمودة لكمالها.

وأنه "الرحيم".. وهذا أصل جميع صفات الجمال.. فكل صفات جماله وتوده إلى خلقه إنما تنبع من هذه الرحمة.. وإلا فهو الغني عن خلقه.

وأنه "الملك" "مالك يوم الدين"..وفي قراءة: "ملك يوم الدين" وهو أصل صفات الجلال التي تملأ القلوب بالرهبة والخشية والتعظيم للرب تبارك وتعالى.. فهو الملك الذي بيده وحده الأمر والنهي والثواب والعقاب، وأعظم ما يؤثر في النفس تذَكُّر ملكه تعالى ليوم الدين.. فأي شيء أشد على نفس الإنسان من الوقوف للحساب والجزاء وتعرضه لغضب الله وعقابه على سوء فعله؟! والله وحده هو

1 سيأتي تفصيله في فصل "جنة الدنيا"

"ملك" ذلك اليوم .. فلا شفيع إلا بإذنه.. ولا معقب لحكمه.. ولا راد لقضائه.

ومما يلفت النظر أيضاً إلى أن هذه الصفات الثلاثة "الحمد والرحمة والملك" هي أصول الصفات كلها.. ليس فقط أن الله تعالى ذكرها دون غيرها في فاتحة الكتاب التي تحوي أصول الأسماء والصفات.. ولكنه أيضاً أعطاها وضعاً خاصاً جداً لم يعطه لغيرها من الصفات..

فتجد صفة الرحمة قد وضعها الله تعالى في البسملة لتبقى على لسان المؤمن في كل تلاواته بل في كل أعماله وأحواله.."بسم الله الرحمن الرحيم"

وتجد صفتي الحمد والملك قد قرنهما الله بأعظم حقيقة في الدين وهي التوحيد.. بل وفي أعظم المواقف الإيمانية..في شعيرة الإسلام والتسليم.. في الحج..

فهذا شعار الحج.. التلبية.. تجد فيه نفس الاقتران بين التوحيد وبين صفتي الحمد والملك:"لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك"

وهذا خير الدعاء.. دعاء يوم عرفة.. خير ما قال الحبيب المصطفى والأنبياء من قبله:"لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له الملك.. وله الحمد.. وهو على كل شيء قدير".. وهو الذكر ذاته الذي يتكرر عقب كل صلاة..

ومن هنا نتأكد أن هذه الصفات الثلاثة ليست كغيرها من الصفات .. بل هي أصول الصفات كلها.

ثم بعد ذكر أسماء الرب وصفاته.. جاء ذكر ما يجب على العباد فعله تجاه هذا الرب العظيم صاحب صفات الكمال والجمال والجلال.. وهو إفراده -تعالى- بالعبادة والاستعانة: "إياك نعبد وإياك نستعين".. يقول ابن القيم رحمه الله:

" وسر الخلق والأمر ، والكتب والشرائع ، والثواب والعقاب : انتهى إلى هاتين الكلمتين "إياك نعبد وإياك نستعين"، والعبادة تجمع

أصلين : غاية الحب .. بغاية الذل والخضوع، والاستعانة تجمع أصلين : الثقة بالله . والاعتماد عليه"[2]

فالاستعانة بالله والتوكل عليه ليست فرعاً من فروع الدين ولا باباً من أبواب الرقائق.. وإنما هي نصف الدين الثاني بعد نصفه الأول "العبادة".. وقد تكرر هذا المعنى في غير موضع من مواضع القرآن الكريم.. فاقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ..

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ..

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (1) اللهُ الصَّمَدُ﴾..وغيرها الكثير من المواضع التي اقترن فيها إفراد الله تعالى

2 – تهذيب مدارج السالكين: ص63 (بتصرف)

بالعبادة بالتوكل عليه والاستعانة به لنعلم أن التوكل على الله والاستعانة به قرين التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة.[3]

ثم تتجه السورة بعد ذلك إلى تعليم المؤمنين الممارسة العملية لهذه العبادة وتلك الاستعانة وهي "الدعاء":

فموضوع الدعاء: هو أهم ما يحتاج إليه الإنسان في حياته الدنيا وفي آخرته..الهداية إلى الصراط المستقيم "اهدنا الصراط المستقيم" ..

فالصراط المستقيم في الدنيا: هو الذي يمشي عليه الإنسان آمناً من الزيغ والزلل والهلكة..مطمئناً إلى سلامة نهايته ووصوله إلى غايته في نهاية الطريق.. وذلك باستقامته على أوامر الله.. وتجنب الانحراف عن طريقه.

وفي الآخرة: هو الصراط الموصل للجنة المبعد عن النار..

فأي شيء أحق أن يُدعى به الرب من هداية الصراط المستقيم؟!

3 أفردت مؤلفاً كاملاً في هذا الموضوع بعنوان "نصف الدين إياك نستعين" فارجع إليه إن أردت مزيداً.

ثم طريقة الدعاء: بصيغة الجمع "اهدنا" ليُعلم المؤمنين أنهم "جماعة" وليسوا فرادى-حتى في الدعاء- فدين الأمة وتكاليفها جماعية.. وحسابها يوم القيامة فردي ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

ثم آداب الدعاء:

"صراط الذين أنعمت عليهم" اعتراف لله بنعمه.. وبأن الإيمان نعمة.. وبأن الهداية نعمة.. وبأنهم لا حول لهم ولا قوة إلا بالله.. فإن لم ينعم عليهم-كما أنعم على الذين من قبلهم- فلا نجاة لهم بغير ذلك..

"غير المغضوب عليهم وللضالين" فَبَنَى الغضب للمفعول، ونسب الضلالة إلى أصحابها تأدباً مع الله -تعالى- مع أن الغضب والإضلال من أفعال الله الثابتة بنص القرآن.. وإنما يعلمنا الأدب مع الرب العظيم.. فندعوه بصفات جماله وكماله وخيره وإنعامه.. وننسب ما دون ذلك إلى أصحابه.. لأن الإنعام تفضل من الله على عباده.. أما الغضب والضلالة فأصحابها هم المتسببون فيها بأعمالهم وفساد قلوبهم ولذلك نُسبت إليهم.

فنعمت الراقية الفاتحة.. تُشفَى بها أمراض القلوب والأبدان.. وكيف لا وقد جمعت أسماء المولى وصفاته بجلالها وكمالها وجمالها.. واستحضرت كمال التوكل على الله والاستعانة به.. والاهتداء إلى صراطه المستقيم في الدنيا والآخرة.

أعظم آية

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

أعظم آية في كتاب الله العزيز هي آية الكرسي[4]

4 راجع صحيح مسلم بشرح النووي، الجزء السادس تتمَّة كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف وآية الكرسيّ.

فقد بدأت بأعظم أسمائه –تعالى– وأصلها: "الله"..

ثم إفراده تعالى بالألوهية وهو الإخلاص أو التوحيد.. وهو أعظم أصول الدين ومن أجله خلقت السموات والأرض: "لا إله إلا هو"..

ثم جاءت بأعظم صفتين من صفات الكمال الإلهي: "الحي القيوم".. فكمال الحياة أصل في كمال جميع الصفات.. فلا يمكن أن يتصف بجميع صفات الكمال من لم تكن حياته دائمة كاملة.

والقيوم هو كامل القيومية.. وله معنيان :

"الأول: الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته..

الثاني: الذي قامت به الأرض والسماوات وما فيهما من المخلوقات.. فهو الذي أوجدها وأمدها وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها.. فهو الغني عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه..

فالحي والقيوم من له صفة كل كمال وهو الفعال لما يريد". [5]

---

5 نقلاً عن كتاب:شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن على بن وهف القحطاني بتصرف

ثم جاءت بتأكيد الحياة والقيومية بأنه سبحانه " لاتأخذه سِنَة ولا نوم".. فالنوم ينافي كمال الحياة لأن النوم من الموت.. وينافي كمال القيومية لأنه من الغفلة والعجز..

ثم أثبتت الآية ملكية كل شيء في الوجود له وحده دون سواه.. بأسلوب تقديم الخبر على المبتدأ "له ما في السموات وما في الأرض".. أي له وحده.. فلا أحد سواه يملك شيئاً من الدنيا.. إلا أن يكون هو من ملَّكه إياه مُلكاً جزئياً مؤقتاً لاختباره وابتلائه.

ثم نفت إمكانية أن يكون لأحد من الخلق عنده شفاعة واجبة لا يردها.. وإنما يقبل الشفاعة ممن شاء تفضلاً منه سبحانه "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"؟ أي لا يُسمح لأحد-أصلاً- أن يشفع إلا بعد أن يأذن له الملك..

ثم أثبتت له -سبحانه- العلم الكامل المحيط بكل شيء من مخلوقاته.. ونفت عنهم ذلك إلا ما شاء هو أن يعَلِّمهم.. وفي

ذلك كمال القدرة وطلاقتها "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء"..

وتختتم بصفات عظمة الله وعلوه وقدرته التي لا حدود لها "وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم".. وهاتان الصفتان "العلي العظيم" من جوامع صفات العظمة والجلال.. فهو "العلي" في المكان ..ولا يحده مكان.. وهو "العظيم" في المقام..وليس في الكون عظيم سواه.

والكرسي هو الذي يضع الملك عليه قدميه.. وكرسي الرحمن يسع السموات والأرض.. بل هي فيه كحلقة في فلاة.. والكرسي في العرش كحلقة في فلاة... فكيف هي عظمة من استوى على العرش.. وملك كل شيء.. ووسع كل شيء.. وأحاط بكل شيء.. وليس لأحد سواه شيء.. سبحانه.

ثلث القرآن

سورة الإخلاص، وهي السورة التي جمعت جميع حقائق التوحيد–وهي من أهم الحقائق التي يجب أن تُعرَف عن الرب سبحانه – في سطر واحد:

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (1) اللهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾

فهو "الأحد" الذي لا يتعدد–فليس له ثان ولا ثالث– ولا يتجزأ – إلى ناسوت ولاهوت كما يعتقد بعض أهل الكتاب– وهو فرد لا والد له ولا ولد ولا صاحبة ولا إخوة، وهو"الصمد" أي السيد المقصود في قضاء الحوائج دون سواه، ولم يكن له في الأزل ولن يكون له في الأبد ند ولا شبيه و لا مكافئ.

فيالروعة القرآن وإعجازه.. في سطر واحد يجمع كل هذه المعاني وغيرها للمتأمل.. فحق لها أن تعدل ثلث القرآن.

الدين كله في آيتين

فآيات القرآن ليست سواء.. فمنها آيات جوامع ومنها آيات مفصلات.. كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾..

وكثيراً ما استوقفتني هاتان الآيتان من سورة البقرة.. لما وجدت فيهما من جمع للدين كله..مبدئه ومنتهاه.. أصله وفرعه.. مصدره وغايته..قال تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

ففي هاتين الآيتين.. يمتنُّ الله تعالى على عباده بأن أرسل إليهم رسولاً منهم ..يعرفون نسبه وصفته..وصدقه وأمانته.. أرسله إليهم كي يُعَرِّفهم بربهم –سبحانه– وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأيامه وسننه في خلقه .. وذلك عن طريق تلاوة آياته الكونية والقرآنية "يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا".. فالتأمل في هذه الآيات هو السبيل إلى معرفة الله

تعالى.. ومعرفة ما يحب وما يكره.. ومعرفة مآل المؤمنين والكافرين عنده.. فإذا علم المسلمون ذلك تهيأت نفوسهم وطهرت قلوبهم استعداداً لمرحلة التزكية.. وهي الارتقاء بالقلوب والنفوس .. وتعلقها بالله تعالى.. وتخلصها من قيود الأرض وسجن الدنيا.. وتحليقها في آفاق معية الله تعالى ومحبته..وخشيته ومراقبته.. "وَيُزَكِّيكُمْ".. هذ التزكية التي جعلت المسلمين الأوائل ومن تبعهم بإحسان يرون الدنيا صغيرة حقيرة.. ويرون أعداء الله على جبروتهم وسطوتهم وبأسهم.. يرونهم مثل النمل لا حجم لهم ولا قوة .. لأنهم علموا من آيات الله أن القوة لله جميعاً.. وأن أصحاب القوة لا يملكونها على الحقيقة.. إنما آتاهم الله إياها ابتلاءً لهم.. وهو قادر على نزعها منهم أنى شاء.. فوقفوا أمامهم في عزة ومنعة لأنهم بالله يحتمون.. وعليه يتوكلون.. وبه يصولون ويجولون.. هذه النفوس التي ارتفعت بتزكية هذا الرسول الكريمﷺ لها عن طريق تلاوة الآيات..فتحت الدنيا وهي فيها زاهدة.. ونشرت النور في أرجاء الأرض فصارت لله عابدة..وصارت الأمم بعد الشرك موحدة.. وأصبحت هذه النفوس

مثالاً على كمال الأخلاق وتمام مكارمها .. وصار أصحابها نماذج تحتذى وقامات يُسعى إلى بلوغ مكاناتها.

ثم بعد أن تتهيأ نفوس المؤمنين وتزكو..يبدأ الرسولﷺ في تعليمهم أحكام الدين وشرائعه.. "وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ".. من عبادات ومعاملات .. أساسها تقوى الله ومراقبته..ومصدرها كتاب الله وسنة رسولهﷺ.. ويُعلمهم كذلك ما كان من أحوال الأمم السابقة.. وما سيكون في الأمم اللاحقة.. "وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ" ..حتى يجتمع لهم العلم بالله تعالى واليوم الآخر وأحواله.. والعلم بكتب الله ورسله وملائكته.. والعلم بأخبار السابقين وأحوال اللاحقين.. وحق لله تعالى المنان أن يمن على عباده بهذه المنن التي لم يُؤتَها أحد من قبلهم على نحو ما أوتوا.. فكان فيها صلاح دينهم ودنياهم.. وعِلم أُولاهم وأخراهم.

ولكن ماذا طلب الله تعالى من عباده إزاء هذه المنن الجسيمة؟!

طلب منهم أمرين اثنين لا ثالث لهما:﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

فقط؟! أهذا هو المطلوب في مقابل هذا العطاء الضخم؟! أين الصلاة والصيام والزكاة والحج؟! أين قيام الليل؟! أين الجهاد والقتال في سبيل الله؟! أين الدعوة إلى دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

توقفت كثيراً أمام هذه الآيات متأملاً متسائلاً: كيف يكون الذكر والشكر فقط مقابلاً لكل ما أعطى الله عباده من العلم والوحي والهداية والرفعة؟! حتى هداني الله تعالى إلى هذا المعنى..وهو أن جميع أعمال المؤمنين في هذا الدين تدور حول هذين المحورين.. الذكر والشكر.. فهما الغاية من العمل ومبتغى العاملين..

فالصلاة ذكر لله ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكرِي﴾ .. وهي شكر له على نعمة الإسلام .. فهذا رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه .. فلما يسأل عن ذلك يقول: "أفلا أكون عبداً شكوراً".

والصيام ذكر لله ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ .. وهي شكر لله على نعمة الإسلام والصحة والرزق ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

والزكاة ذكر عملي لله تعالى.. وتقديم لمرضاته على شح النفس وحب المال.. وهي شكر له على نعمة السعة في الرزق والغنى عن الناس: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

والحج ذكر لله تعالى ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ .. وفي الحديث: "إنما جُعِل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل".. وهو شكر له على نعمة الإسلام ونعمتي الصحة والمال ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ والكفر نقيض الشكر.

والجهاد ذكر لله تعالى وشكر له على نعمة الإسلام ونعمتي المال والصحة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقال تعالى عن نبي الله داود الذي ألان

الله له الحديد ليصنع دروع الجهاد للمؤمنين:﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾؟ وشكرها يكون باستعمالها في الجهاد لإعلاء كلمة الله.

والذكر -بهذا المفهوم-هو أفضل أعمال المرء على الإطلاق.. قالﷺ:" ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم.. وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق.. وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟" قالوا بلى. قال:" ذكر الله تعالى".

ولهذا كان العمل دليل شُكرٍ لله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ ولما كان القليل من الناس من يفقه هذه المعاني ويعمل بها قال تعالى بعدها: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

ولهذا أيضاً كان من صفات أعداء الله الغفلة عن ذكره.. قال تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، وأُلصِقت بهم صفة الكفر التي تناقض الشكر:﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

ولذلك كان الذكر والشكر محل استهداف الشيطان لبني الإنسان.. لأنه يعلم أن الدين يدور عليهما.. وأن من فقدهما صار لقمة سائغة له.. وصار بعيداً عن الله قريباً من الشيطان.. بعيداً عن الجنة قريباً من النار والعياذ بالله.. فهاهو القرآن يحكي خطة الشيطان حيث يقول عن بني آدم: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ حتى أقطع عليهم طريقهم إلى مرضاتك ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ لأشغلهم عن ذكرك بالدنيا وبالهموم.. وبالشهوات والشبهات..﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

ولذلك أيضاً كان سيد الاستغفار أن يقر العبد بالنعمة قبل أن يطلب المغفرة.. فمن أذنب ذنباً فقد كفر نعمة من نعم الله تعالى وقد وجب عليه شكرها قبل أن يطلب المغفرة على ذنبه "أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي".

مما سبق يتضح لنا أن الذكر والشكر هما الغاية من كل عبادة وعليهما يدور الدين كله.. بل من أجلهما خلق الله السموات

والأرض وأخلف الليل بالنهار:﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ لماذا يا رب؟ ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

بل من أجل الشكر خلق الله الإنسان ووهبه ما وهبه من النعم : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فاللهم اجعلنا لك ذكارين.. لك شكارين .. إليك أواهين منيبين.

اللهم لا تُنسِنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين.

أإله مع الله؟!

وهذه الآيات أسوقها حتى نتأملها.. ونعيش مع ما فيها من صفات الله-تعالى- ونعمه وأفعاله.. وكيف أنه من البدهيات العقلية أنه لا يوجد رب مع الله.. وبناء عليه فإن من البدهيات العقلية كذلك أنه لا إله إلا الله.. أي لا يستحق العبادة إلا الله.. فما دام هو الرب الخالق الرازق المدبر وحده فيجب أن يكون هو

المعبود المطاع وحده كذلك.. ولذلك تجد هذا السؤال –المعروفة إجابته– يتكرر في نهاية كل آية "أإله مع الله؟".

ولن أتعرض للآيات بالشرح أو التفصيل فإن معانيها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى شرح.. ولكني سأكتفي بالتعليق على مناسبة ختام كل آية لما فيها.. ولنتأمل سوياً في هذه الآيات الكريمات:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ آلله.. الذي اجتمعت له كل صفات الحمد.. والذي اصطفى من خيار خلقه رسلاً يبلغون الناس رسالاته.. خيرٌ؟! أمَّا يشركون من دونه من كل عاجز لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يملك لغيره هداية ولا منهج رشد؟!

وبالطبع هذ ليست مقارنة بين الله تعالى وبين ما يشركون..تعالى الله عن هكذا مقارنة.. وإنما السؤال هنا لتقريع المشركين.. الذين تركوا عبادة الله العظيم .. ولهثوا خلف أهوائهم وشهواتهم ممثلة فيما يشركون.. سواء أشركوا بالله تعالى هواهم وعبدوا ذواتهم ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.. أو أشركوا بالله أموالهم وأوطانهم وعائلاتهم

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.. أو أشركوا بالله كاهناً أو راهباً أو شيخاً يحل لهم الحرام ويحرم عليهم الحلال فيتبعوه ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.. أو أشركوا بالله أياً كان من أصحاب المال أو السلطان.. كل ذلك لا يساوي في ميزان الله شيئاً.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا؟ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ؟! بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي يساوون بين الله وبين خلقه.. يساوون بين من يخلق ومن لا يخلق.. يساوون بين من ينزل الماء وينبت الزرع ومن لا يملك من ذلك شيئاً.. فأي جرم ارتكبوا وأي ظلم ظلموا..فهم أيضاً يعدلون أي يحيدون عن طريق الرشد إلى طريق الغي والضلال.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً؟ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ؟! بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ فهم غافلون.. لا يتأملون ولا يتعلمون.. وكثير من الناس لا يعلمون هذه الحقائق ولا يلتفتون إليها.. بل يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ؟ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ؟! قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ وكثيراً ما تنسون.. تلك المواقف الصعبة الرهيبة التي مرت بكم.. ولم تجدوا لكم ملجأ ولا منجا منها إلا إلى الله.. فدعوتموه مضطرين مخلصين أذلاء.. فأجابكم وكشف الضر عنكم.. ثم نسيتم بعد ذلك وأشركتم معه في العبادة والطاعة من لم تفكروا في اللجوء إليهم عندها لعلمكم بعجزهم وضعفهم عن إغاثتكم.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ؟ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ؟! تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى

من هذه قدرته عما يشركون مما لا يهدي إلا أن يُهدَى.. ولا يملك قدرة على تحريك الرياح ولا إنزال المطر.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ؟! قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ويالروعة الختام..ويالها من حجة بالغة..لايملك أمامها مشرك إلا أن يتبرأ مما يشرك ويعلن توبته وتوحيده لله تعالى، فهو يعلم أنه خلقه ابتداء ..وقادر على إعادة ما خلق.. فهو أهون عليه بالمنطق البشري.. ويعلم أن الرزق الذي ينزل من السماء ويخرج من الأرض ليس بيد أحد سواه.. فهذا هو التوقيت الرائع في الحوار لطلب البرهان.. حيث لا يملك المشرك حينها إلا أن يرفع يديه مستسلماً.. فلا برهان لديه على ما يعبد من دون الله.. بل كل البراهين التي عنده تصرخ في وجهه وتهز قلبه ألا إله إلا الله..فما أروع هذا الحوار الرباني الذي يوقظ العقل ويهز القلب.. ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ونلحظ في الآيات ملحظاً لطيفاً..يكاد يتكرر في كل آيات القرآن الكريم.. وهو التحول من أسلوب الخطاب المباشر إلى أسلوب الغائب عند الحديث عن المشركين حين يكونون وحدهم في المشهد.. أما إذا وجد معهم غيرهم خاطب الله الجميع خطاباً مباشراً.

فمثلاً في الآية الأولى استعمل أسلوب الغائب "يشركون" وكذلك في الآية الثانية "يعدلون" وفي الآية الثالثة "لا يعلمون" وفي كل تلك الآيات كان المشركون وحدهم في المشهد، أما في الآيتين الرابعة والخامسة نجد الخطاب المباشر "قليلاً ما تذكرون" "أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر" لأن الغفلة والنسيان والهداية في البر والبحر يشترك فيها المشرك وغيره.. لكنه تحول مرة أخرى لأسلوب الغائب في نفس الآية الخامسة عندما قال "تعالى الله عما يشركون" ثم في الآية الأخيرة عند طلب البرهان ولأنه يحسن أن يكون بالخطاب لا بالغيبة جعل الخطاب على لسان رسول الله ﷺ وليس خطاباً مباشراً من الله تعالى " قل هاتوا برهانكم"

لماذا؟ .. حتى نعلم أن المشركين لا يستحقون أن يكلمهم الله تعالى مباشرة بأسلوب المخاطب.. فقد هانوا عليه حين أشركوا به غيره.. أما إذا وجد في المشهد غيرهم من المؤمنين كان الخطاب المباشر كرامة للمؤمنين دون المشركين.

ونجد ذلك أيضاً في غير موضع من القرآن الكريم.. حين يتحدث القرآن عن الناس الذين إذا أصابهم البلاء دعوا الله مخلصين له الدين فلما كشف عنهم الكرب أشركوا كلهم أو بعضهم.. فإذا كانوا كلهم أشركوا لم يخاطبهم الله تعالى .. وقد جاء ذلك في آية واحدة فقط وهي قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.. فاستعمل أسلوب الغائب في كلمة "ليكفروا" وفي كلمة "وليتمتعوا" .. أما في الآيتين الأخريين كان فريق منهم بربهم يشركون وفريق لم يشرك.. فخاطبهم الله خطاباً مباشراً كرامة لمن لم يشرك.. مثل قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ

يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

وفي سورة الروم: ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

فاستعمل اسلوب الغائب في كلمة "ليكفروا" لأنها خاصة بالمشركين.. واستعمل الخطاب في كلمة "فتمتعوا" لأن من لم يشرك داخل في التمتع.. فسبحان الذي أنزل هذا الكتاب بهذه الدقة وبهذه الروعة.. وله الحمد أن هدانا لمعرفة هذا فضلاً منه وكرماً.

ومن أحسن من الله حكماً؟!

إن من أعظم أسماء جلال الله تعالى اسم "الحَكَم" ومن أجَلّ صفاته صفة "الحُكم" و "الحاكمية"، وهي صفات غاية في المنطقية.. فلا يجد العقل ولا القلب غضاضة في قبولها، إذا كان العقل راجحاً والقلب سليماً، فما دام الله تعالى هو من يخلق فمن البداهة أن يكون هو من يملك .. ومن يملك هو الذي يحكم فيما يملك: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وهذه الآيات التي بين أيدينا تتحدث في هذا الموضوع بمنتهى القوة والعظمة.. فلا تدع مجالاً لتشكيك مشكك ولا فلسفة متفلسف، فيالروعة التعبير حين يقول الله لنبيه الكريمﷺ الذي هو أكرم الخلق على الله وأَوْلاهم بالحُكم إن كان هناك حَكَم غير الله.. يقول له: ﴿وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَاةُ فِيهَا حُكمُ اللهِ﴾؟! يا الله! ما هذا التعبير الرهيب! "وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ" استفهام إنكاري غاضب يثير دهشة السامع .. كيف يحكمونك يا رسول الله.. يا من يوحى إليه من الله.. كيف يحكمونك وعندهم حكم الله؟ كيف يتركون حكم الله ويلتجئون إلى حكم غيره ولو كان رسول الله محمد ﷺ أشرف الخلق وأعدلهم وأعقلهم؟! فإذا كان الله الحَكَمُ ينكر على الناس تحاكمهم إلى رسول الله ﷺ في مسألة عندهم فيها حكم صريح واضح من الله .. فكيف بمن يتحاكمون إلى أراذل الناس وأسافل القوانين التي وضعها أصحاب الأهواء لخدمة أهوائهم وهم يعلمون أنها تنصر القوي وتظلم الضعيف؟!

﴿وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَاةُ فِيهَا حُكمُ اللهِ﴾؟! أفبعد هذه الآية يبقى إيمان لمن ينكر وجوب حاكمية الله على خلقه؟ أفبعد هذه الآية يبقى إيمان لمن يدَّعي الإيمان ثم ينصرف عن حكم الله إلى حكم غيره؟ يجيب الله تعالى عن هذا السؤال في ختام الآية بقوله:﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ قطعاً ليسوا بمؤمنين.. هؤلاء الذين يتركون حكم الله الواضح والصريح ويتحاكمون إلى غيره ولو كان رسول الله ﷺ، مع العلم اليقيني بأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى.. وما كان ليحكم إلا بحكم الله.. ولكن المقصود بالآية نفي الحكم عن كل أحد غير الله ولو كان رسول الله ﷺ .. ليعلمنا أن من دون رسول الله ﷺ أولى بالنهي عن التحاكم إليه.

ثم تتعاقب الآيات لنجد خطاب الله تعالى لهؤلاء الذين أعطوا ظهورهم لحكم الله ولجؤوا إلى حكم غيره لعله يكون أخف ضرراً عليهم أو لعله يحقق لهم مكاسب يرجونها، أو يكون فيه تجنب لإغضاب أهل المحكوم عليه ، فنجد قوله تعالى:﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ووالله لو كان هذا الثمن

هو الدنيا من مشرقها إلى مغربها فهو قليل في حساب الله تعالى وفي حساب عباد الله الذين يعرفون حقيقة الدنيا، وهذه الآية لخصت أسباب التحاكم إلى غير الله تعالى، فهي إما مخافة شيء أو أحد،أو طمع في شيء من حطام الدنيا، وهذه حقيقة الشرك بالله تعالى والكفر به، فهذا المعرض عن حكم الله تعالى يعلم أن الله تعالى هو الحَكَم.. وأنه وحده صاحب الحاكمية، ولكنه يعرض عن حكم الله لأنه يخشى غير الله أكثر من خشية الله، ويطمع فيما عند غير الله مما لا يملكه –حقيقة– إلا الله، ولذلك حكم الله تعالى عليهم بالكفر فقال:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأن حقيقة الكفر ليست إنكار وجود الله.. ولكنها تعطيل صفات الله تعالى من الألوهية والحاكمية، فهنا قال "الكافرون" من حيث المبدأ.. أن من تحاكم إلى غير منهج الله وشريعته فقد كفر بصاحب المنهج والشريعة، ولا حلول وسط هنا.

ثم يعبر سبحانه في الآية التي تليها عن المآل الذي يصيب الخلق من تعطيل أحكام الله تعالى.. ألا وهو الظلم، فلا شك أن

أي حُكم غير حكم الله تعالى هو الظلم بعينه، فلا يمكن أن تجد منهجاً أو شريعة وضعها أحد من الناس تعدل بين الناس جميعاً، بل كلها بلا استثناء تنصر القوي على الضعيف، وتحابي من يضعون هذه القوانين ومن يحكمون بها على حساب المحكومين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ..لا محالة هم الظالمون.. لأنفسهم أولاً بإعراضهم عن منهج الله.. ثم لعباد الله بحجب حقوقهم عنهم وإعطاء الحق لغير أهله.

ثم تعرج الآيات على ذكر حال هؤلاء حين يصبح منهج حياتهم بعيداً عن منهج الله، فيصير حالهم إلى الفسوق والانحلال من قيود الشريعة، فيستحلون ما حرم الله ويتهاونون في أوامر الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .. فهم "كافرون" من حيث المبدأ بمجرد إعطاء ظهورهم لمنهج الله.. وهم "ظالمون" من حيث النتيجة التي تترتب على حكمهم بغير منهج

الله.. وهم "فاسقون" من حيث مآل حالهم عندما يبتعدون عن منهج الله[6]

ثم تعرج الآيات على خطاب الحق سبحانه إلى نبيه ومصطفاه ﷺ.. تحذره تحذيراً شديداً من الميل إلى هؤلاء أو اتباع أهوائهم ولو في البعض القليل من أحكام الله تعالى.. فأحكامه تعالى كلها مُلزِمة يستوي في الإعراض عنها القليل والكثير:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ وفي الآية التالية:﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

ثم بين سبحانه أن هؤلاء الحمقى إنما هم خاسرون في الدنيا قبل الآخرة بإعراضهم عن منهج الله، فمنهج الله تعالى هو وحده ما

---

[6] تنبيه للقارئ: كلمة "الكفر"هنا كلمة عامة وفيها تفصيل في كتب الفقه بين كفر يخرج من الملة وكفر لا يخرج من الملة، ولا يجوز لآحاد الناس تكفير أحد بعينه إلا بوجود شروط وانتفاء موانع يعلمها أهل الاختصاص، ولكن ما يجب على المؤمن هو اعتقاد كفر من أعرض عن منهج الله وأحكامه واستبدل بها أحكاماً أخرى تخالفها أو رضي بذلك غير مُكرَه ولا جاهل ولا متأوِّل

تَصلُح به الحياة، وتتحقق به سعادة الأفراد والمجتمعات والأمم، لذلك من أعرض عنه فهو خاسر.. أراد الله أن يعاقبه بحرمانه من منهجه القويم جزاء لإعراضه عنه:﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ نعم هو عقاب من الله لهم من جنس عملهم، هم لا يستحقون أن يحكمهم منهج الله، تماماً كهؤلاء الذين قال الله فيهم:﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ .. فهم لا يستحقون أن يعلموا أحكام الله ولا أن يحكمهم منهج الله ، لا يستحقون السعادة الحقيقية التي يجدها من سار على طريق الله وارتضى لحياته منهج الله، ولذلك تجد التعبير العجيب في نهاية الآيات:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟ فالحقيقة أنه لا أحد أحسن من الله حكماً سواء كان المحكومين من الموقنين أم من الكافرين ولكن لا يستحق حكم الله إلا أصحاب الإيمان واليقين، لا يستحق أن يسعد بحكم الله إلا من آمن بالله وامتلأ قلبه باليقين بأن لا حكم أحسن من حكم الله، أما أولئك الراكضون اللاهثون خلف

أطماعهم وأهوائهم فلا يستحقون هذا الشرف ولا يستأهلون هذه السعادة في كنف منهج الله.

وشددنا أسرهم

نعم.. أنت أسير وأنا أسير.. وكل خلق الله أسرى عنده.. يملك زمامهم.. بل يملك أرواحهم وأجسادهم.. لا فكاك لأحد من أسره.. ولا هروب لأحد من قدره..

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾

فيا من لا تعجبك أوامر الله وأحكامه.. هل تستطيع الفكاك من أقداره؟!

يا من لا يعجبك الأمر بالصلاة.. هل تستطيع أن تعترض عليه إن كتب عليك مرضاً لا تستطيع معه أن تحرك أطرافك؟

يا من لا يعجبك الأمر بالزكاة.. هل تستطيع منع الفقر عنك إن كتبه الله عليك وذهب بكل مالك؟

يا من لا يعجبك الأمر بالصيام.. هل تملك منع داء لا تستطيع معه أن تضع لقمة في فمك أو شربة ماء؟

يا من لا يعجبكِ الأمر بالستر والحجاب.. ماذا تفعلين إن أصابك الله بمرض يسقط معه شعرك أو يشوه به ما تبدين من جسدك؟

يا من تحكم بغير ما أنزل الله خوفاً من ضياع منصبك.. ما الذي يضمن لك أن تبقى فيه وهو في يد من ضيعت حكمه؟

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

وعلى الأعراف رجال

كثيراً ما استوقفني ذلك المشهد الفريد.. مشهد الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار بعد أن استقر كل منهم في دار خلده.. يقول أصحاب الجنة لأصحاب النار: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾؟ .. هؤلاء الذين أوسعوهم في الدنيا سخرية واستهزاء بسبب إيمانهم بوعد الله.. بل وحاربوهم في أرزاقهم .. وحاصروهم في حياتهم.. بل قد وصل إيذاؤهم لهم إلى السجن والبطش بل والقتل أحياناً.. هاهم الآن وقد

استقروا في دار كرامة الرحمن.. ينظرون إلى هؤلاء المكذبين الضالين وهم ينالون جزاء ما صنعوا بهم.. ويُذَكِّرونهم بما كان بينهم من حرب يدور محورها حول التصديق بهذا الوعد والتكذيب به:﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾؟

يأتي هذا المشهد في سورة "الأعراف" والتي تدور كلها من أولها إلى آخرها حول المعركة بين الحق والباطل.. من أول الصراع بين آدم عليه السلام وإبليس.. ثم الصراع بين الأنبياء عليهم السلام والمكذبين من أقوامهم.. يأتي هذا المشهد ليبين نهاية الفريقين .. ليعلم أهل الحق أنهم لا ريب منتصرون .. إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.. فهذا هو مشهد النهاية .. هم في الجنة وأعداؤهم في النار.

ولكن مهلاً.. هناك فريق ثالث يظهر في المشهد.. لا هم من أصحاب الجنة ولا من أصحاب النار.. ولكن من الواضح أنهم يعرفون كلا الفريقين جيداً.. نعم.. إنهم أولئك الذين كانوا يشاهدون تلك المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل.. فيمنعهم إيمانهم بالحق من نصرة أهل الباطل.. ويمنعهم ضعفهم أو خوفهم من

الدخول إلى المعركة لنصرة أهل الحق ومواجهة أهل الباطل.. هؤلاء الذين ضرب الله تعالى لهم مثلاً في آخر السورة حين ذكر أصحاب السبت.. فذكر أهل الباطل الذين اعتدوا في السبت.. وذكر أهل الحق الذين وقفوا في وجوههم ونهوهم عن سوء فعلهم.. ثم ذكر هذه الطائفة الثالثة.. الذين كرهوا ما صنع أهل الباطل ولكنهم لم يروا فائدة من المواجهة أو أنهم ضعفوا أو جبنوا عنها فقالوا لأهل الحق الناهين عن السوء:﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.. فهم قد يئسوا من هداية أهل الباطل أو جبنوا عن مواجهتهم واكتفوا بالصمت.. فلم يشاركوا في المعركة.. وإن كانت قلوبهم مع الحق وأهله.. ولكن ألسنتهم وأيديهم لم تعمل من أجل نصرة هذا الحق.. فهؤلاء لم يعذَّبوا مع أهل الباطل.. ولكن الله تعالى لم يذكر أنه نجاهم مع أهل الحق .. سكتوا فسكت الله عن ذكرهم:﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.. ولم يذكر ماذا حل بهذه الطائفة.. هل نجوا؟ هل عُذِّبوا؟..

لا تأتي الإجابة عن هذا السؤال هنا.. ولكنها تأتي في سورة أخرى هي شبيهة بالأعراف .. سورة "هود" والتي تتمحور أيضاً حول هذا الصراع بين الحق والباطل ولكن من زاوية أخرى.. يخبرنا الله تعالى في نهايتها أن الله تعالى ينجي أهل الحق جميعاً.. مَن واجه منهم أهل الباطل ومن اكتفى بإنكار القلب .. ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ .. فالذين نجاهم الله من العذاب في الدنيا كثير.. وأكثرهم ممن لم يقعوا في الباطل ولكن لم يواجهوه.. والقليل من الناجين هم من نهوا عن السوء وواجهوا أهل الباطل.. الكل نجا في الدنيا.. ولكن المنازل تختلف في الآخرة.. فأهل الحق الذين جاهدوا في سبيله في الجنة ينعمون.. وأما الصامتون القاعدون فهم هنالك على الأعراف يشاهدون.. يشاهدون أهل الجنة في نعيمهم.. ويشاهدون أهل الباطل في عذابهم.. يحمدون الله أنهم لم يدخلوا النار مع أهل الباطل.. ولكنهم في ذات الوقت يتحسرون على أنهم حرموا من دخول الجنة مع أهل الحق لأنهم لم يقفوا معهم في صف

الجهاد ضد الباطل.. واكتفوا بالصمت والمشاهدة.. فاليوم جزاؤهم أن يكتفوا بالمشاهدة من بعيد.

ثم يسمح الله لهم بالتدخل في الحوار بين أهل الجنة وأهل النار.. يخاطبون أهل الجنة بالسلام ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.. لسان حالهم يقول يا ليتنا كنا معكم.. ياليتنا فعلنا مثلكم.. وبينما هم يتنعمون بالنظر إلى أهل الجنة يصرف الله أبصارهم إلى أهل النار .. فيفزعون ويخافون أن يصيروا إلى مصيرهم.. ويقولون:﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.. وهنا تقفز في أذهانهم مشاهد الصراع القديم.. حين كان هؤلاء يحشدون من أجل مواجهة الحق ويقولون:﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ﴾.. فاليوم:﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؟. حين كانوا يستهزئون بأهل الحق ويحتقرونهم.. حتى يقسموا أنهم لن ينالوا رحمة الله.. وكأنهم هم من يقسمون رحمة الله.. فيشيرون إلى أهل الجنة وهم ملوك على الأرائك ويقولون لأهل الباطل:﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾؟. هؤلاء الآن في رحمة الله وأنتم هناك في الشقاء.

وكأن هذا الحوار وهذا التقريع منهم لأهل الباطل.. وهذا الحب الظاهر لأهل الحق.. والطمع في الاجتماع بهم.. كأن ذلك قد شفع لهم عند الله .. أو ربما شفع لهم أهل الجنة عند ربهم بأنهم وإن لم يحاربوا معهم أهل الباطل لكنهم أيضاً لم يصفقوا للباطل وأهله.. ولربما كان هؤلاء من أرحامهم وأصدقائهم.. فينتهي المطاف بأهل الأعراف إلى دخول الجنة بشفاعة أهل الحق أو بمحض كرم الله ورحمته:﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾..

ولكن لا شك أن البون شاسع بين منازل هؤلاء ومنازل أولئك.

فيا هذا: إن لم تكن في صف الحق.. فاحذر أن تصفق للباطل.. يسعك الصمت .. فلأن تكون من أهل الأعراف خير لك من أن تكون من أهل النار.

الرحمن وعباده

تطالعنا هذه الآيات الكريمات في مطلعها بأمر عظيم من الله تعالى لنبيه ورسوله الكريم ﷺ أن يتوكل عليه وحده لأنه الحي الذي لا يموت:﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾..فتوكُّل العبد على

الله من مقتضيات الإيمان.. فمن آمن بأن الله تعالى هو الحي الذي لا يموت.. القيوم الذي لا ينام.. بيده كل شيء.. وهو على كل شيء قدير.. فلا شك أنه سيفوض كل أموره إليه.. ويتوكل في كل شؤونه عليه.

ومهما توكل العبد على غير الله فإنما يتوكل على ميت، أما الوكيل الحقيقي فهو الحي الذي لا يُخشى زواله ولا يُخشى عليه التحول ولا التبدل، وهو المستحق وحده لكل ثناء:﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾..ولا تخش ذنوبك أن تحول بينك وبين كفايته ووكالته.. فهو سبحانه الخبير بعباده وبذنوبهم ،وهو الغفور لمن استغفر والتواب على من تاب:﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾،وكيف لا يكون خبيراً وهو من خلق كل شيء ابتداء وملك كل شيء واستوى على العرش:﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

وهنا يختار الرب الجليل اسماً من أعظم أسمائه ليعبر عن كل ما سبق من العظمة والرفعة والملك والقدرة ﴿الرَّحْمَنُ﴾.. ولما كان القليل من

عباد الله من يعرف قيمة هذا الاسم وعظمته وحقيقة معناه.. وجه الله عباده ألا يسألوا عن هذا الاسم إلا الخبراء العارفين بأسماء الله وصفاته ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ..هذا لو اعتبرنا أن الباء هنا بمعنى "عن"، أما لو اعتبرنا معناها على أصله فيكون التوجيه بالتوسل إلى الخبير سبحانه بهذا الاسم العظيم فهو مظنة إجابة السؤال، أو يكون المعنى ألا تسأل أحداً من الناس متوسلاً بهذا الاسم إلا أن يكون خبيراً بمعناه وحقيقته ويقدره حق قدره، وأرى أن المعاني الثلاث تصح في فهم هذا التوجيه العظيم.

ولعل القارئ يندهش ويسأل: هل هناك من لا يعرف اسم "الرحمن" أو لا يقدره حق قدره؟! فهنا يذكر الله تعالى حال قوم جهلوا معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ فالنفور من لوازم اجتماع الجهل والكبر.. فهؤلاء الذين رفضوا السجود والخضوع لأمر خالقهم لم يضروا إلا أنفسهم، فهو سبحانه الغني عنهم وعن كل شيء:﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا

وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ..فالغاية من خلق السموات والأرض وتقليب الليل والنهار هو وصول العباد إلى درجة الذكر والشكر .. فعليهما يدور الدين كما تقدم.

وبعد أن ذكر الله تعالى اسم "الرحمن" ومدى عظمته وجلاله ، وذكر تعامل المشركين معه ونفورهم عن الخضوع له، ذكر المقابل لهم ممن استجابوا للرحمن وخضعوا له واستحقوا بما اكتسبوا من صفات الخضوع والعبادة والمعرفة أن ينسبهم الرحمن إلى ذاته بالعبودية "وعباد الرحمن".

فدعونا نطوف قليلا في عالم عباد الرحمن لنتعرف على طريقة عيشهم في هذا العالم .. ونتعرف على صفاتهم.. حتى نحاول أن نتشبه بهم ونعيش معهم في عالمهم.. في كنف الرحمن جل في علاه.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

وعباد: جمع عبد.. والعبد هو المملوك الذي لا يعرف من الدنيا غير سيده.. فسيده يطعمه ويسقيه ويكسوه ويؤيه.. والعبد يطيع سيده طاعة تامة.. دون مناقشة .. لأنه يعلم أن أوامر سيده واجبة النفاذ.. ويعلم أنه إن لم ينفذ أوامر سيده فإنه يعرض نفسه لغضب سيده وعقابه.

كذلك فإن العبد يشعر بأنه لا يستطيع الاستغناء عن سيده.. ولا يستطيع أن يعيش بعيداً عنه.

هذا حال العبد مع سيده البشري الذي لا يملك له إلا الطعام والشراب والمسكن والملبس.. فكيف يكون حال العبد مع ربه.. الذي يملك الهواء الذي يتنفسه.. يملك سريان الدم في عروقه.. بل يملك كل ذرة فيه..وكل خلية في كيانه؟!

فما بالنا لا نتعامل مع الله عز وجل بمقتضى تلك العبودية .. ولا حتى كما يتعامل العبد مع سيده البشري؟!

فالعبد إذا أمره سيده بأمر لا يناقش بل لا يفكر لماذا أمره سيده بذلك.. فقط ينفذ الأمر ابتغاء مرضاة سيده..

وعبودية العبد لربه ينبغي أن تكون كذلك وأكثر.. فإذا جاءنا أمر الله تعالى لا نقول إلا: سمعنا وأطعنا.. دون مناقشة ولا مراجعة.

وكما أن العبد لا يستطيع الامتناع عن سريان أقدار الله عليه.. من الصحة والمرض.. والغنى والفقر.. فإنه أيضاً لا يصح له أن يمتنع من تنفيذ أوامر الله الشرعية "افعل ولا تفعل".. فالله تعالى له الخلق والأمر.

وإذا كانت عبودية البشر للبشر ذل.. فعبودية البشر لله عزٌ وأيُّ عز.. فحين أراد الله عز وجل أن يمتدح نبيه ﷺ ويعلي ذكره .. نسبه إلى نفسه بالعبودية فقال:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

ومن لم يكن عبداً لله عز وجل .. صار عبداً لكل شيء سواه.. صار عبداً لهواه.. عبداً لأطماعه..عبداً للمال.. عبداً لكل طواغيت الأرض.

أما من كان عبداً لله تعالى وحده.. حرره الله مِن عبودية مَن سواه.. فاللهم اجعلنا عباداً لك وحدك لا نشرك بك شيئاً ولا أحداً.

﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

فالوقت عندهم هو الحياة.. علموا أن أعمارهم محدودة ..وأنفاسهم معدودة.. فلم يضيعوا أوقاتهم بالتبختر في الأرض ، فهم يمشون على الأرض مسرعين، لا تكاد أقدامهم تطأ الأرض حتى ترتفع عنها وذلك لسرعتهم في المشي حتى يصلوا إلى هدفهم في أقصر وقت ممكن، وهذه كانت مشية رسول الله ﷺ.. أعبد عباد الرحمن وسيدهم "كان يمشي وكأنما يتحدر من صبب" أي يمشي كأنه ينزل من تلة مرتفعة كناية على سرعة المشي وشدته .. حتى كان الصحابة يجهدون للحاق به ﷺ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

وإذا قابلهم جاهل أو سفيه لم يضيعوا أوقاتهم في مماراته وقالوا "سلاماً " أي قولاً حسناً يغلقون به باب أي مراء لا طائل من ورائه إلا تضييع الأعمار وإيغار الصدور..

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾

الليل.. حيث السكون والسكينة.. وقت رقود الناس وغفلتهم.. وقت يحب الرحمن أن يقوم عباده بين يديه سجداً وقياماً.. روي عن

ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقوم من الليل فيقول: "إلهي.. سكن كل حبيب إلى حبيبه.. وجئت إليك فأنت وحدك حبيبي".

وعباد الرحمن لهم حظ من قيام الليل.. ولو بركعتين بعد العشاء أو قبل طلوع الفجر.. يقفون بين يدي الرحمن خاشعين.. يبثون هموم النهار وأحزانه.. فتنشرح صدورهم وتنير وجوههم.. ويستعينون بقيام الليل على تكاليف النهار.. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾.

فمن كانت له مهمة جليلة بالنهار فإنه يحتاج إلى زاد في الليل يستعين به عليها..

وأي مهمة أعظم من مهمة عباد الرحمن.. فهم مكلفون بإقامة دين الله في الحياة.. وهداية الناس إليه.. وإصلاح الأرض وإعمارها بمنهج الله.. وهذا لعمري حمل ثقيل لا يستطيع حمله إلا من كان له زاد بالليل بين يدي الله ساجداً وقائماً.. يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.. فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ثم يفاجئنا عباد الرحمن مفاجأة لم تكن في الحسبان.. فالمتوقع أن هؤلاء الصالحين من عباد الله.. الصُّوام القُوَّام.. سوف يسألون الله الجنة جزاء لأعمالهم..فإذا بهم يستعيذون بالله تعالى من عذاب النار.. وبصيغة فريدة لم ترد إلا في هذا الموضع من القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ وكأن عذاب جهنم قد وصل إليهم فعلاً وهم يدفعونه بأيديهم ويستغيثون بالله أن يصرفه عنهم ويدفعه من أمامهم.. قبل أن يلمسهم.. فإنه إذا لمسهم لم يفارقهم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملازماً ملاصقاً.

والحقيقة أننا لا نستطيع فهم هذا اللغز إلا إذا وعينا حقيقة كبرى في العلاقة بين المؤمن وربه.. حقيقة أن المؤمن عبد لله تعالى وليس أجيراً عنده.

فما الفرق بين العبد والأجير؟

العبد ملك لسيده .. تجب عليه طاعته دون مقابل.. فلا ينتظر أجراً حين ينفذ الأمر..بل هو يتوقع العقاب إذا قصر في تنفيذ أمر سيده.

أما الأجير فهو يتقاضى أجراً مقابل عمله.. وله أن يشترط الأجر قبل القيام بالعمل.. وحين يفرغ من عمله يحق له المطالبة بأجره كاملاً بحسب الاتفاق.

بعض الناس يظن أن العلاقة بينه وبين ربه علاقة الأجير بالمستأجر.. يطيع الله وينتظر المكافأة **على أنها حق له مقابل عمله**.. وقد تجد من هؤلاء من يمن على الله بعمله ويقول أنا فعلت كذا وكذا من الأعمال الصالحة ويجب أن يدخلني الله الجنة مقابل ذلك: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

نعم.. المنة لله عليهم أن هداهم للإيمان.. ووفقهم إلى الطاعة.. وأعانهم عليها.. وعصمهم من كيد الشياطين وزيغ النفوس ..

وعَلَّمَهم كيف يعبدون.. وأرسل إليهم الرسول ليقتدوا به ويتعلموا منه.. كل تلك المنن هي لله على العباد وليس للعباد منة على الله.

وهذا ما فقهه عباد الرحمن.. فقهوا أنهم "عباد" لله وليسوا أجراء.. فقاموا بحق العبودية في تنفيذ أوامر سيدهم وهم يخافون من تقصيرهم في أدائها.. يخافون ألا يؤدوها على أكمل وجه فيستحقون العقوبة على ذلك.. ولذلك فهم لا يشتغلون بسؤال الله المكافأة على العمل.. بل يخافون أن يؤدي تقصيرهم في أداء عملهم إلى استحقاقهم للعقوبة.. فيشتغلون بالاستعاذة من عذاب الله وهم يطيعونه.. وهذا شأن الصالحين على الدوام.. تجدهم يقومون الليل.. فإذا جاء وقت السحر لم يمُنُّوا على الله بقيامهم.. بل استشعروا تقصيرهم في حق الله تعالى.. وأن الله يستحق منهم أكثر من ذلك.. فقاموا يستغفرون الله من تقصيرهم:﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

لم يقولوا ربنا إننا آمنا فأدخلنا الجنة.. بل طلبوا المغفرة والنجاة من النار.. هذا وَهُمُ الصابرون الصادقون الطائعون.

ووصفهم المولى سبحانه وتعالى بقوله:﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن هذه الآيةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يَشرَبونَ الخَمرَ ويَسرِقونَ؟ قال: "لا يا بِنتَ الصِّديقِ، ولكِنَّهم الذين يصومون ويُصَلُّونَ ويتصَدَّقون وهم يخافون ألَّا تُقبَلَ منهم، أولئك الذين يسارِعونَ في الخيراتِ وهم لها سابِقونَ"

ولذلك كان رسول الله ﷺ وهو أعبد عباد الرحمن يستغفر الله تعالى في اليوم أكثر من مائة مرة.. لماذا يا رسول الله؟! وأنت من أنت ؟!

أكثر خلق الله طاعة لله وعبادة له..وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيجيب ﷺ بأنه يشعر أنه لم يستفرغ وسعه في طاعة الله وأنه كان يمكنه أن يقدم أكثر مما قدم فيستغفر الله لذلك.. وهذا معنى قوله ﷺ: " إنه لَيُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"

وتجده ﷺ يعلمنا إذا فرغنا من الصلاة أن نستغفر الله على الرغم أننا قد فرغنا من طاعة ولم نقم بمعصية.. ليعلمنا أن الاستغفار ليس فقط من المعصية بل من التقصير في الطاعة.. ومن منا يصلي كما ينبغي أن يصلي؟! ومن منا يتقي الله حق تقاته أو يعبده حق عبادته؟!

ولذلك تجد الله تعالى يأمر الحجيج بعد أن أتموا ركن الحج الأعظم بالوقوف بعرفة وقد غفر لهم كبائر الذنوب وصغائرها.. يأمرهم بأن يفيضوا إلى مزدلفة وهم يستغفرون الله:﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وعباد الرحمن يعلمون أنهم إذا عوقبوا على تقصيرهم سيكون ذلك بعدل الله.. وإذا كوفئوا على أعمالهم سيكون ذلك بفضل الله وكرمه.. **لا لأن المكافأة حق لهم**.. قال رسول الله ﷺ: "لن يُدخل الجنة أحداً عملُه، قالوا:ولا أنت ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة"

وهذا يفسر لنا أن عباد الرحمن لا يسألون الله الجنة مكافأة لهم على أعمالهم .. بل يستعيذون به من النار التي يرون أنهم استحقوا دخولها بتقصيرهم.

ولا يفهم أحد من ذلك أن المؤمن لا يسأل الله الجنة.. فقد كان رسول الله ﷺ يُعَلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تسأل الله الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.

ولكن المقصود هنا أن المؤمن يعلم أنه عبد لله تعالى لا يستحق المكافأة على عمله .. بل الله يكافِئُه على العمل بمحض فضله وكرمه.. فهو عبد لله وليس أجيراً عنده.. فيسأل الله الجنة بفضله

ورحمته.. ويشعر أنه لا يستحقها.. ويستعيذ بالله تعالى من النار وهو يشعر أنها قريبة منه بتقصيره في حق ربه.

ولعل أحدكم يحتج عليَّ بمثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أو قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فأقول: نعم هو جزاء ولكنه جزاء فضل لا جزاء حق واجب، مثل السيد إذا أمر عبده بأمر فنفذه فأعطاه مكافأة.. هذه المكافأة ليست حقاً واجباً للعبد ولكنها تفضل من السيد وكرم على عبده.. كذلك إذا أتقن الموظف عمله وطور من مهاراته فإن صاحب العمل يعطيه مكافأة زائدة عن راتبه تشجيعاً له على الاستمرار.. هذه المكافأة ليست حقاً واجباً للموظف ولكنها فضل وزيادة .. هي جزاء لعمله ولكنها جزاء فضل لا جزاء عدل.

ولتتأمل قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ

لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾

فهو أجر.. ولكنه فضل من الله على عباده وليس حقاً واجباً لهم.

نسأل الله تعالى أن يدخلنا الجنة بفضله ورحمته ونعوذ به من النار أن تصيبنا بذنوبنا وتقصيرنا.

ثم تلفتنا صفات عباد الرحمن لفتة عجيبة.. من ذلك الخشوع وتلك الخشية والبكاء في المحاريب.. إلى التعامل مع المال والدنيا.. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

فعباد الرحمن ليسوا رهبانا في صومعة ولا دراويش في تكية.. بل هم عمار الأرض وسادة الدنيا.. يتعاملون في الأموال بفقه وحكمة.. لا يسرفون في الإنفاق فيضيعوا أموالهم وأموال الأمة على ما لا فائدة منه.. ولا يقترون فيضيقوا العيش على أهليهم ومن في ولايتهم بحرمانهم من احتياجاتهم.

والقوام هو تلبية الاحتياجات الأساسية والتوسع المعقول في الكماليات بحسب الوسع، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾

والإسراف هو المبالغة في الإنفاق على الكماليات المباحة أما التبذير فهو إنفاق المال في الحرام ولو كان يسيراً.

والقوام هو الوسط.. وأمة الإسلام هي أمة الوسط.. فلا غلو ولا تفريط سواء في الإنفاق أو غيره.

ثم تنقلنا الآيات نقلة أخرى أشد غرابة.. لتجعلنا نقف متأملين كثيراً في الصفات التالية بعد ذلك:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾

ما هذا؟ لا يشركون! لا يقتلون! لا يزنون! إن هذه الأمور لا تخطر أصلاً على بال عباد الرحمن الذين اتصفوا بالصفات السابقة.. ولا يتصور منهم أن يقعوا فيها إلا استثناء نادراً .. ورغم ذلك نجد أربع آيات تُفرَد من أجل التعامل مع هذه الصفات وما يترتب عليها.. ثم لماذا يضاعف العذاب على مرتكب هذه المعاصي؟! أليس لكل ذنب عقابه؟

وقفت طويلاً أمام هذه الآيات محاولاً فهم المقصود منها..وبحثت في التفاسير فلم أجد ما يروي الغليل.. ثم هداني الله تعالى إلى معنيين:

المعنى القريب: أن ذكر هذه الذنوب الكبيرة على سبيل التنفير منها وتحذير من ليسوا من عباد الرحمن أن يقعوا فيها أسوة بعباد الرحمن الذين لا يقعون في مثل هذه الذنوب، وأن مضاعفة العذاب تكون لمن يتخذه الناس قدوة (مثل عباد الرحمن) لأن وقوعهم في هذه الذنوب يغري الناس بالوقوع فيها، فتكون مضاعفة العذاب هنا جزاء للوقوع في الذنب وجزاء فتنة الناس وإغرائهم للوقوع فيه.. تماما مثل قول الله تعالى في حق أمهات المؤمنين:﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ

يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾..هذا وهُنَّ أبعد الناس عن الفواحش رضوان الله عليهن.

أما المعنى الثاني فهو دقيق جداً.. فلعل المقصود هنا فتح باب الدخول إلى عالم عباد الرحمن لمن هم بعيدون عنه كل البعد.. بل لا يتخيلون أن يصبحوا من أهل هذا العالم.. فهم الذين يشركون بالله ويقتلون ويرتكبون الفواحش.. لذلك استحقوا مضاعفة العذاب نظراً لتعدد الذنوب .. فهم لم يرتكبوا ذنباً واحداً.. بل أتبعوا الذنب بالذنب ولذلك استحقوا مضاعفة العذاب.

أمثال هؤلاء حين يسمعون هذه الآيات تذكر حالهم .. ثم تتوعدهم أشد الوعيد بالعذاب المضاعف والخلود في العذاب والإهانة.. ثم فجأة تفتح لهم باباً للعودة.. ليس فقط إلى عالم الناس الأسوياء.. بل إلى عالم عباد الرحمن.. هذا الباب هو باب التوبة.. تقول لهم الآيات: إذا تبتم مما أنتم فيه أدخلناكم إلى عالم عباد الرحمن.. فيقولون: كيف لنا أن ندخل إلى عالم هؤلاء الأفذاذ وعندهم ما

ليس عندنا من الحسنات والقربات؟ أندخل إلى عالمهم مفلسين؟ فتجيبهم الآيات: لا تخافوا.. إذا تبتم حق التوبة بدلنا سيئاتكم حسنات.. وحولنا كل الرصيد السالب في صحائفكم إلى رصيد موجب.. حتى إذا دخلتم إلى عالم عباد الرحمن وجدتم معكم من الحسنات ما يضاهي حسناتهم .. ولم تشعروا بأنكم أدنى منهم.

تلك هي التوبة النصوح.. تذيب العاصي في مجتمع الصالحين.. فلا يعيره أحد بماضيه.. ولا يستعلى عليه منهم أحد بحسناته.. بل الكل في عالم عباد الرحمن سواء.. الصالحون ابتداء.. ومن لحق بركبهم من التائبين.

ويحسن بنا في هذا المقام أن نتحدث قليلاً عن التوبة.. فالتوبة نوعان:

توبة من العبد إلى الله .. وتوبة من الله على العبد

والتوبة من العبد إلى الله نوعان أيضاً: توبة انتقال وتوبة استدامة

والتوبة من الله على العبد توبة ابتداء وتوبة انتهاء

أولاً: توبة الانتقال: هي توبة من العبد إلى الله تنقله من حال المعصية إلى حال الطاعة.. من طريق الضلال إلى طريق الهدى.. من عبادة الهوى إلى عبادة الله وحده.. فهي توبة أهل المعاصي عن معاصيهم..قال تعالى:﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

يقابل هذه التوبة توبة من الله على عبده هي توبة الابتداء.. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ .. أي أنه فتح لهم باب التوبة.. وهداهم إليها وأعانهم عليها.. ليتوبوا إليه مما هم فيه من المعصية أو الغفلة أو الضلال..ثم يتوب عليهم بقبول التوبة.

ثانياً: توبة الاستدامة: وهي حالة دائمة من التوبة يتلبس بها العبد المؤمن.. فهو دائم العودة إلى الله والإنابة إليه في كل وقت وفي كل حال.. فهي توبة أهل الإيمان.. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.. فالمخاطبون بهذه الآية هم عموم المؤمنين.. ومنهم من لم يتلبس بمعصية حتى يتوب منها..

فنفهم من ذلك أن هذه التوبة ليست مرتبطة بالمعاصي ولكنها حالة دائمة يجب أن يكون عليها كل مؤمن.. وهي واجبة على جميع المؤمنين بنص هذه الآية.. ومن قصر فيها فهو من الظالمين .. قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.. فالناس إما تائب وإما ظالم.

يقابل هذه التوبة توبة من الله على العبد هي توبة الانتهاء أو توبة الرضا .. كما تاب الله على رسوله ﷺ وأصحابه : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.. فعندما يتلبس العبد بحالة التوبة المستدامة طوال حياته ويكون عبداً أواباً منيباً.. يصل إلى مرحلة يقبل الله فيها توبته ويرضى عنه رضا لا يسخط عليه بعده أبداً.. فتلك هي توبة الرضا من الله على عبده.

فتلكم هي أنواع التوبة الأربع: توبتان من العبد إلى الله.. وتوبتان من الله على العبد.

ثم تلفتنا الآيات إلى ملمح آخر في عالم عباد الرحمن .. ألا وهو صناعة البيئة..فلا شك أن الإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به سواءٌ أكان هذا التأثر إيجابياً أو سلبياً.. يقول رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" .. وفي حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً وأراد أن يتوب.. أمره العالم بترك أرض السوء حتى يحافظ على توبته.

فعباد الرحمن يعلمون تأثير البيئة المحيطة على سلوك الإنسان بل وعلى إيمانه.. فحرصوا على تنقية البيئة المحيطة بهم من أدران الجاهلية وعوامل الغفلة.. فتجدهم لا يحضرون مجالس اللغو والباطل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ لا يتعمدون الحضور إليها ابتداء.. وإذا اضطرتهم الظروف إلى التواجد في مكان به لغو أو باطل فإنهم يمرون به كراماً.. لا يتأثرون به.. ولا يشاركون فيه.. إذ يجعلون بينه وبين قلوبهم حاجزاً من عزلة الشعور.. فلا يستأنسون به .. بل ينكرونه بقلوبهم ..هذا في تجنب البيئة السلبية.

ثم هم حريصون على صناعة التأثير الإيجابي في البيئة المحيطة بهم والقريبة منهم.. فجعلوا بيوتهم محاضن إيمانية .. يتعاون فيها كل أفراد الأسرة على طاعة الله والبعد عن معصيته.. ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.. فلا شك أن أسرة الإنسان أكثر تأثيراً عليه من أي شيء.. فإذا كان أفراد هذه الأسرة يشبهون رب الأسرة في عبادته وتقواه فإن ذلك لا شك يعينه على المضي قدماً في طريق الرحمن.. أما إذا كانوا على النقيض من ذلك فإنهم سيشكلون عائقاً له في هذا الطريق.. وسيحتاج إلى بذل مجهود مضاعف للثبات على ما هو فيه.

وملمح آخر من صفات عباد الرحمن.. حساسية الاستقبال.. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل على العكس هم من ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ .. قلوبهم مثل الفيلم الحساس الذي يتأثر بأي شيء يقع عليه.. فتجدهم إذا قرأوا القرآن تأثروا.. وإذا سمعوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أرهفوا أسماعهم ليعلموا ما

يأمرهم به ربهم وما ينهاهم وما يعظهم..فكلما كان القلب صافياً خالياً من الغفلة والذنوب زادت حساسية استقباله لكلام الله.. وكلما رانت عليه الذنوب وغطته حُجُبُ الغفلة كلما حجبته عن حسن الاستقبال.. ولذلك يحرص عباد الرحمن دائماً على جلاء هذا السطح حتى يظل أملس شفافاً.. فيكثرون من الذكر والاستغفار.. فالذكر يزيح حجاب الغفلة.. والاستغفار يجلو آثار الذنوب.

ثم ها نحن نصل إلى المحطة الأخيرة في هذه الرحلة المباركة في عالم عباد الرحمن..

الطلب الأخير الذي يطلبه هؤلاء الصالحون من ربهم : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾..

علم عباد الرحمن أن التقوى هي المؤهل لولاية الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾

وعلموا أن التقوى هي شرط قبول الأعمال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

وعلموا أن التقوى هي المؤهل لدخول الجنان: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

ولكنهم لم يطلبوا أن يكونوا من المتقين.. بل طلبوا أن يجعلهم الله أئمة للمتقين..

أولاً: لعلو همتهم.. فهم يطلبون المعالي.. لم يطلبوا أن يكونوا من آحاد المتقين.. بل طلبوا أن يكونوا أئمة وقدوة للمتقين.. يقتدي بهم هؤلاء المتقون في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم.

وثانياً: من فقههم في الدين.. وفهمهم لطبيعة الإسلام.. وطبيعة أمة الإسلام.. فهم قد فهموا أن الإمامة في الدين مكافأة من الله تعالى على الصبر وعلى اليقين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ .. وعلموا أيضاً أن رسول الله ﷺ لم يكن يربي الصحابة على أنهم أتباع.. بل كان يربي أئمة.. وكان يصنع قادة.. هؤلاء القادة الذين حملوا أمة الإسلام مع رسول الله ﷺ وحملوها من بعده.. حتى وصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها.

ثم لما علموا من الواقع.. أن كل جماعة من الناس لابد لهم من قيادة.. وكذلك جماعة المتقين تحتاج إلى أئمة وقادة يقودونهم في طريق الرحمن.. ويبينونه لهم.. وينفون عن هذا الطريق تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

فلما علم عباد الرحمن أن هذه مهمتهم في الدنيا.. أدركوا قيمة اللحظات.. فرأيتهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ولم يماروا السفهاء ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

وعلموا أن لهم مهمة ثقيلة بالنهار فاستعانوا عليها بالقيام بين يدي الله تعالى بالليل.. فراحوا ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

وعلموا أن مهمتهم عظيمة.. وأن التقصير فيها خطير.. فخافوا من عقاب الله لهم على هذا التقصير .. وظلت ألسنتهم تلهج بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ وتوسطوا في النفقة بين الإسراف والتقتير.. فالإسراف والتقتير في حق القائد نقيصة لا تليق به.. وتنقص من قدره في أعين أتباعه.

وكذلك أغلقوا باب الغرور حتى لايصلوا إلى الشرك.. وأغلقوا باب الغضب حتى لا يصلوا إلى قتل النفس المحرمة بغير حق.. وأغلقوا باب الشهوة والنظر المحرم حتى لا يصلوا إلى ارتكاب الفواحش.

وكان ديدنهم التوبة لله عز وجل.. وصنعوا حولهم البيئة التي تعينهم على مهمتهم العظيمة.. فتجنبوا مجالس الزور واللغو..وصنعوا في أسرهم بيئة صالحة من أزواجهم وأولادهم.. فكانوا قرة أعين لهم.

وأخيراً علموا أن كل ذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً إلا أن يصطفيهم الرحمن ويختارهم .. وعلى كل ذلك يعينهم.. فراحوا يلحون عليه بالدعاء ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.. فاستعانوا بالله عز وجل على طاعته وعبادته كما تعلموا من تأملهم لأم الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

فكان جزاؤهم من الله عز وجل بعلو همتهم وطلبهم المعالي من الأمور أن أعطاهم أعلى الدرجات في الجنة ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾

والغرفة أعلى الجنة.. قال رسول الله ﷺ: " إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ، مِنَ المشْرِقِ أوِ المغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، تِلكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قالَ: بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المرسَلِينَ. "

فكيف نعيم أهل الغرف؟! إذا كان أهل الجنة يرونهم من فوقهم كما نرى نحن النجوم في السماء! هذا وأقل أهل الجنة منزلة له مثل خمسين ملك من ملوك الدنيا.. أما أهل المعالي وأصحاب الغرف.. فقد قال من أعد لهم النعيم فيه:" أولئكَ الذينَ أردْتُّ ، غرسْتُ كرامتَهم بيدِي ، وختمْتُ عليها فلَمْ تَرَ عينٌ ، ولم تسمعْ أُذُنٌ ، ولم يخْطُرْ على قلْبِ بشرٍ"

سورة النعم

إن العبد المؤمن لأحوج ما يكون لمعرفة ربه كونه مُنعِماً منَّاناً.. فيستحضر غزير نعمه عليه ومننه.. فيعينه ذلك على تحقيق الشكر الذي هو ركيزة من ركائز المعرفة وأساس من أسس العبادة..ومن أقصر الطرق لرضوان الله واصطفائه وهداه.

وها هي سورة النحل تطوف بنا في آفاق نعم الله عز وجل علينا وعلى جميع مخلوقاته .. لتعرفنا بالمنعم المنان سبحانه.. وتذكرنا بعظيم فضله علينا وعلى جميع خلقه.. فتبدأ بأعظم نعم الله على الإنسان .. "الوحي" ، ذلك الحبل المتين الذي يصل السماء بالأرض.. يصل المخلوق بخالقه سبحانه.. الوحي الذي يشعر معه الإنسان أنه ليس ضائعاً في هذا الكون بل هو موصول بربه وخالقه.. يتلقى ما يحتاج إليه من العلم مباشرة من العليم الخبير .. يتعرف على ما يُصلح حياته الدنيا والآخرة من صاحب الحياة ومُوجِدِها.. ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ﴾ وأهم ما يُهديه الوحي إلى الإنسان هو معرفته بربه وخالقه سبحانه ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

ثم تطوف الآيات في بديع صنع الله سبحانه في السماء وفي الأرض.. في الإنسان والحيوان.. في البحار والجبال.. لتقف أيها الإنسان أمام تلك الروائع شاهداً على عظمة الله وقدرته.. وشاعراً بمدى ضعفك وعجزك واحتياجك إلى ربك.. ومدى امتنانك له على كل ما حباك به من وافر النعم التي لا تستطيع لها عداً.

فيبدأ بخلق السموات والأرض.. ثم خلق الإنسان.. ثم ما سخر له من الأنعام.. ثم من الزروع والأشجار.. ثم تسخير الكون وما فيه لخدمته.. ثم البحار والجبال..وكل ما في الأرض..ثم يختم ذلك بالحقيقة التي يحتاج الإنسان دوماً إلى أن يضعها نصب عينيه:﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

ثم تنتقل الآيات للحديث عن من لا يخلق ولا يملك ولا ينفع ولا يضر.. ممن يعبدهم الكفار ويدعونهم من دون الله:﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ

أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فمال هذا الإنسان الجاهل الجاحد، الذي يرى كل هذه النعم التي أنعمها الله عليه ثم يُعرِض عنه إلى من لا يملك ولا ينفع ولا يضر.

ثم تنبه الآيات إلى مصير هؤلاء وأولئك.. الكافرين بالله والمؤمنين به.. وإنها لنعمة عظيمة أن يريك الله مصير الفريقين حتى تختار لنفسك على بينة..أما الكافرون فمكروا فجعل الله مكرهم يُهدَم فوق رؤوسهم في الدنيا.. ثم الخزي والعذاب في الآخرة.. وأما المؤمنون فلهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر وأعظم.

ثم تعود الآيات لتؤكد مرة أخرى أن كل النعم التي يتنعم بها الإنسان ليس لها إلا مصدر واحد:﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ليس هذا فقط، بل ليس هناك ملجأ للإنسان عند زوال هذه النعم إلا إلى الله كذلك:﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.

ثم تبين الآيات مدى حلم الله تعالى على هذا الإنسان (وهو في حد ذاته نعمة عظيمة من الله تعالى) فلا يعجل الله للكافر بزوال النعم التي كفرها:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا

مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يؤخرهم لعلهم يتوبون ويشكرون ويدعون ما هم عليه من الظلم والكفر والبهتان.

ثم تعود الآيات لتأخذنا في جولة جديدة من النظر في آفاق نعم الله عز وجل، لعل الغافل أن ينتبه.. ولعل الجاحد أن يتوب.. فهذا ماء المطر ينزل فيحيي به موات الأرض.. ويسقى الأنعام التي تسقيكم بدورها لبناً خالصاً.. وتثمر أشجار النخيل والأعناب.. وتطير النحل بين الورود والأزهار فترتشف رحيقها بوحي من ربها لتخرج للإنسان خير شراب.

ثم يذكر الإنسان بخلقه ووفاته عند حضور أجله.. وما جعل له من أزواج.. وما فضل بعضهم على بعض في الرزق.

ثم يضرب المثل بمن ينفع ومن لا ينفع.. حتى يقرع المشركين الذين يتركون عبادة من بيده النفع والضر ويعبدون من دونه ما لا ينفعهم شيئاً ولا يضرهم..ثم يذكرهم بالساعة وأنهم لا محالة عائدون إليه ليحاسبهم على ما قدموا.

ثم يعري الإنسان أمام نفسه فيرى ضعفه وعجزه وقلة حيلته ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ليعلم أنه إذا لم يشكر فلم ينتفع بما منحه الله من سمع وبصر وفؤاد.. ولم يحقق ما خلق من أجله.

ثم يجَوِّل بصرَه في السماء ليرى الطيور بأشكالها وأنواعها تطير بين السماء والأرض لا يمسكها إلا الله.. ثم يعيده إلى الأرض ليرى ما جعل له الله من بيوت في الحضر وبيوت في السفر.. وما جعل لهم من ظلال وأكنان.. وثياب تستر عورته وتحميه من تقلبات الأجواء.. أدق التفاصيل فيما يحتاج إليه الإنسان يذكره بها ليعلم أنها جميعا نعمة منه وحده.. ولم يطلب منه إزاءها إلا أن يسلم وجهه إليه ويعبده لا يشرك به شيئاً:﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ فهذا الإسلام هو الشكر العملي لتلك النعم.

ثم يأتي التعقيب الذي يدمي القلوب على حال أهل الجحود والنكران:﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

ثم تختتم السورة بمثال حي على العبد الشكور .. الذي عرف نعم الله عليه وشكرها.. فحق له أن يكون مثالا ونموذجا يحتذى على مر العصور وبين سائر الأمم.. خليل الله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ..وهنا يعرفنا بسبب اجتبائه لإبراهيم وجعله إماماً للناس أنه كان شاكراً لأنعمه.. فمن أراد الاصطفاء والهداية فليلزم الشكر فإنه أقصر سبيل لمرضاة المنعم المنان.

فاللهم اجعلنا لك شاكرين.. وتوفنا على ملة أبينا إبراهيم.. واحشرنا يوم القيامة في زمرة المتقين.. الذين يعرفون نعمة الله ثم يشكرونها ولا يكفرون.

واسألوا الله من فضله

حين نقرأ هذا التوجيه الإلهي الكريم.. يتوارد إلى أذهاننا الفضل الذي بمعنى الرزق المادي الدنيوي.. وهو معنى صحيح وارد في

القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

ولكننا نغفل عن أفضال أخرى لله تعالى هي أعظم وأثمن كثيراً من الرزق الدنيوي..

فمن فضله تعالى العفو عن زلات المؤمنين:

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

ومن فضله تعالى إكرامه للشهداء في حياة البرزخ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

ومن فضله تعالى حفظ عباده المؤمنين من كيد الشياطين وأتباعهم:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

ومن فضله تعالى مكافأة الطائعين على طاعتهم رغم أنها واجبة عليهم .. وليست مكافأة كأي مكافأة.. بل المكافأة بصحبة قوم هم أعلى منزلة وأرفع مكانة منهم .. فأي فضل أعظم من هذا؟!

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾

ومن فضله تعالى عصمة المؤمنين من اتباع الشياطين:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

ومن فضله تعالى حفظ رسوله المصطفى ﷺ من كيد الكافرين.. وتعليمه من علوم الدنيا والآخرة ما ينتفع به وينفع أتباعه المؤمنين:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

ومن أعظم أفضاله تعالى أن يهب محبته لعباده المؤمنين.. وأن يجعلهم كما يحب.. أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

ومن أعظم أفضاله تعالى هداية عباده إلى التفرقة بين الحق والباطل.. والمحكم والمتشابه..وأن يغفر لهم زلاتهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

ومن أعظم أفضاله تعالى تنزيل القرآن العظيم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.. حبل متين وصراط مستقيم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

ومن أعظم أفضاله تعالى إنعامه على عباده الذين أورثهم هذا الكتاب بأن يدخلهم جناته.. على اختلاف بين درجاتهم.. فمنهم سابق ومنهم مقتصد ومنهم ظالم.. فالسابق يسبق.. والمقتصد يلحق.. والظالم يؤاخذ بظلمه ثم يشفع له إيمانه بالكتاب فيُدرِك:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

فذلك هو الفضل الأعظم.. يؤتيه الله من يشاء.. نعيم مقيم .. وأنس وصحبة:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

وإنه لفضل يستحق السباق إليه والمسارعة فيه:

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

فإذا سألت الله تعالى من فضله.. فلتستحضر في ذهنك كل هذه الأفضال والفضائل.. ولا تفتر عن سؤال الله تعالى من فضله..لتنال من عظيم فضله في الدنيا والآخرة.. فاللهم إنا نسألك من فضلك.. اللهم إنا نسألك من فضلك.

وما قدروا الله حق قدره

سبحانه ..ما ضل الضالون وما كذب المكذبون إلا لأنهم لم يعرفوه حق معرفته.. ولم يقدروه حق قدره.. فمنهم من زعم له نداً.. ومنهم من زعم له ولداً.. ومنهم من أنكر وجوده بالكلية.. ومنهم من وصفه بالفقر.. ومنهم من وصفه بالبخل.. ولولا حلم الله تعالى عليهم.. ولولا أن الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة لأهلكهم جميعاً .. ولكنه أخر عقابهم إلى يوم الخلود : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وقد ورد هذا التعبير القرآني البديع في ثلاثة مواضع:

الأول في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾.. فهم بذلك قد أنكروا حكمة الله تعالى .. فزعموا أنه خلق خلقه عبثاً ثم تركهم هملاً.. بغير كتاب ولا تشريع..فلم يقدروا حكمة الله تعالى.

والثاني في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.. فهم قد ساووا بين الله تعالى وبين ما يشركون.. ساووا بين القوي المتين الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وبين من لا يستطيعون خلق ذبابة.. بل لا يستطيعون أن يستنقذوا ما يأخذ الذباب منهم.. فلم يقدروا قوة الله عز وجل وقدرته عليهم.

أما الثالث ففي سورة الزمر قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فلم يقدروا عظمة الله تعالى.. الذي يقبض الأرض ويطوي السموات بيمينه.. وهم مجرد ذرات على هذه الأرض وتحت هذه السموات.

فسبحانك ربنا ما قدرناك حق قدرك.. ولا اتقيناك حق تقواك.. ولا ذكرناك حق ذكرك..ولا شكرناك حق شكرك.. ولا عبدناك حق عبادتك.. فاغفر لنا تقصيرنا في حقك.. واعف عن غفلاتنا وتفريطنا في جنبك.. وقلة توكلنا عليك وإسناد ظهورنا إليك.. يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

كانت تلك تأملات في بعض آيات الذكر الحكيم.. وهي ليست تفسيراً وإنما **محض اجتهاد** بما فتح الله به علي في فهمها..**فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي**.. وإنما سُقتها كمثال على الغوص في أعماق الآيات

المباركات لاستخراج لآلئ المعرفة بالله صاحب هذه الآيات..وأسأله سبحانه الهداية والتوفيق.

جنة الدنيا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه:"إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة"

تلكم الجنة مكانها قلب العبد المؤمن.. غراسها معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأيامه.. ثمارها محبة الله تعالى ودوام ذكره.. والإخلاص له والتوكل عليه.. والخوف منه والرجاء فيه.

وفي هذا الفصل نغرس سوياً غراس هذه الجنة.. بالتعرف على الله تعالى بما ورد من صفاته وأسمائه في كتابه وسنة نبيه ﷺ.

ومن فضل الله –تعالى– عليَّ أن وفقني إلى جمع معظم ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله.. وتصنيفها بطريقة جديدة بهدف تسهيل فهمها وحفظها ومعايشة معانيها.

وأسماء الله وصفاته لا يحيط بعلمها إلا هو .. وعلى كل منا أن يتأمل في أسماء الله وصفاته.. ويعايش معانيها.. ويدعوه بها.. ويتقرب إليه بمقتضاها.

فالتأمل يورث المعرفة والوعي بمعاني الأسماء ومقصودها..وهو عمل العقل.

ومعايشة المعنى هو عمل للقلب يستحضر فيه الاسم أو الصفة ويستشعر معناها وقيمتها..

والدعاء بها هو عمل اللسان.. وهو دليل على فقه المؤمن ووعيه بالأسماء والصفات.. وهو كذلك تنفيذ لأمر الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.. فالدعاء بالأسماء الحسنى هو التطبيق المباشر للإيمان بها، فمن آمن أن الله تعالى هو الغفور سأله المغفرة موقناً أنه سيغفر له، ومن علم أن الله هو الرزاق سأله الرزق وهو موقن أنه وحده من يقدر عليه وهكذا.

أما التقرب إليه بمقتضاها فهو عمل الجوارح.. وهو من صميم المعرفة بها، فمن علم أن الله كريم فإنه يكرم من حوله تقرباً إلى الله باسمه الكريم، ومن علم أن الله رحيم فإنه يرحم من حوله تقرباً إلى الله باسمه الرحيم وهكذا.

وحسبي أن أفتح الباب لمن أراد الدخول إلى هذه الجنة.. فمعرفة الله تعالى هي جنة الدنيا.. فافتح قلبك وعقلك وهلم إلى هذه الجنة.. عسى الله أن يجمعنا في جنة الآخرة في مستقر رحمته ودار رضوانه.. إن ربي رحيم ودود.

أولاً: أسماء الأعلام:

وهي الأسماء التي تستعمل للدلالة على الرب الجليل والإله العظيم بكل صفات كماله وجماله وجلاله.. ولا تستعمل للدلالة على أي أحد سواه.. فإذا أطلقت هذه الأسماء لا ينصرف الذهن أبداً إلا إليه.. وهذه الأعلام هي :

"الله" ..... **"الرب"**..... **"الرحمن"** [7].

ويأتي الاسمان الجليلان **"الله"** و**"الرحمن"** منفردين بغير إضافة.

ويأتي اسم **"الرب"** مضافاً أو مقترناً باسم آخر .. مثل: ربي – رب الناس– رب العالمين– رب السموات والأرض وما بينهما – رب رحيم.

7 راجع التأملات في سورة الفاتحة في الفصل السابق

ثانياً: صفات وأفعال القدرة والكمال[8]:

وهي التي تشير إلى كمال الله تعالى وتَنَزُّهِهِ عن كل نقص.. وطلاقة قدرته في ملكه..

وأصلها اسم الله "**الحميد**".. فله كل الصفات المحمودة .. وكل صفات كماله تؤدي إلى حمده..

وأعظمها "**الحي القيوم**"[9] ..ثم تأتي جوامع صفات الكمال وهي:

المحيط – الحكيم– الأول الآخر– السبوح القدوس– الخلاق – الرزاق – يحيي ويميت

ويندرج تحت كل منها صفات أخرى سأوردها في التفصيل لمن أراد الاستزادة والتأمل.

ثالثاً: صفات وأفعال الرحمة والجمال:

وأصلها اسم الله "**الرحيم**".. فجميع صفات جماله تنبع من رحمته سبحانه.. ثم تأتي جوامع صفات الرحمة وهي:

---

8 تنبيه: صفات الله تعالى كلها صفات كمال ليس فيها نقص، وإنما اختصصت هذه المجموعة من الصفات تحت هذا العنوان لتسهيل الفهم والحفظ.

9 كما مر بنا في شرح آية الكرسي في فصل: تأملات

الحفيظ– الولي– الشكور– الكريم– الهادي– الودود– الصمد–القريب المجيب .

ويندرج تحتها صفات أخرى كما سنرى في التفصيل إن شاء الله.

رابعاً: صفات وأفعال العظمة والجلال:

وأصلها اسم الله "**الملك**" .. ثم تأتي جوامع صفات العظمة وهي:

الواحد الأحد –العلي–العظيم– الحكم –الغني– الظاهر – القهار – المتكبر.

ويندرج تحتها صفات أخرى سيأتي تفصيلها لاحقاً إن شاء الله.

ولكن قبل الدخول في شرح وتفصيل هذه المجموعات من الأسماء والصفات.. يحسن بنا التنبيه على أمرين:

الأول: أن الله تعالى صاحب صفات الجمال هو ذاته صاحب صفات الجلال..وإنما نفصلها لسهولة الفهم والحفظ.. وكثيراً ما قُرِنَت أسماء الجمال بأسماء الجلال والكمال في كتاب الله عز وجل .. فتجد "العزيز الحكيم" و"العزيز الرحيم" و "الغفور الودود ذو العرش المجيد" وتجد "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي

الطول" وتجد "الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر" ..

وقد ضل قوم عرفوا الله بصفات جماله ولم يعرفوه بصفات جلاله.. فأقاموا المجرمين مقام المسلمين.. وأمنوا مكر الله.. وضل آخرون عرفوا الله بصفات جلاله ولم يعرفوه بصفات جماله فأقاموا المسلمين مقام المجرمين..ويئسوا من رحمة الله.. أما المؤمن الحق فيعرف الله تعالى بجميع صفات جماله وكماله وجلاله.. فيخاف ويرجو.. ويحسن الظن ولا يأمن المكر.. ويدعوه سبحانه بأسمائه الحسنى كلها ..ولا يلحد في شيء منها.. تنفيذاً لأمره تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والأمر الثاني: أن أسماء الله تعالى وصفاته لا حصر لها.. ولا يمكن لبشر أن يحصيها جميعاً.. ففي الحديث "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك.. أو علمته أحداً من خلقك..أو أنزلته في كتابك.. أو استأثرت به في علم الغيب عندك".. فلله تعالى أسماء

لا يعلمها إلا هو سبحانه.. وإنما نجتهد في إحصاء ما أنزل الله تعالى في كتابه وما علمنا إياه رسول الله ﷺ.

والآن إليك هذا الشكل التوضيحي الذي يجمع هذه الأسماء والصفات.. وبعده يأتي تفصيل كل منها.. وأوصي نفسي وإياك بأن نتوقف متأملين عند كل صفة من هذه الصفات.. عسى الله أن يفتح لنا بهذا التأمل من أبواب معرفته ما يقربنا به إليه.. ويصلح به قلوبنا وأرواحنا.. إنه هو الفتاح العليم:

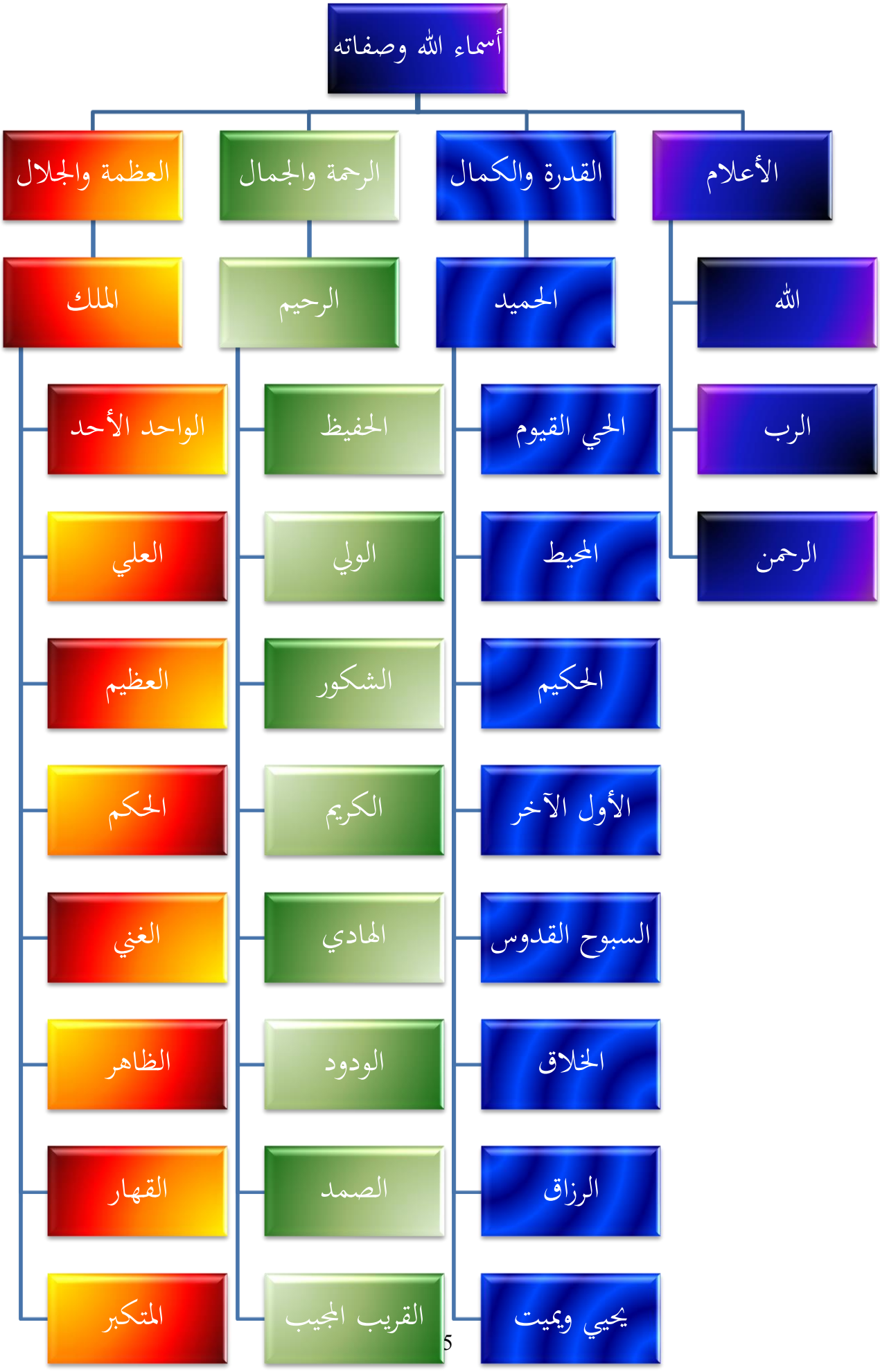
أسماء الله وصفاته
الأعلام
القدرة والكمال
الرحمة والجمال
العظمة والجلال
الله
الحميد
الرحيم
الملك
الرب
الحي القيوم
الحفيظ
الواحد الأحد
الرحمن
المحيط
الولي
العلي
الحكيم
الشكور
العظيم
الأول الآخر
الكريم
الحكم
السبوح القدوس
الهادي
الغني
الخلاق
الودود
الظاهر
الرزاق
الصمد
القهار
يحيي ويميت
القريب المجيب
المتكبر

أولاً: أسماء الأعلام:

الله

عَلَم على ذاته–سبحانه– فلا تنصرف الأذهان عند سماعه إلا إليه.. وهو الاسم الأعظم للرب تبارك وتعالى– على قول طائفة من أهل العلم– وهو أصل أسمائه تعالى.. وكلها ترجع إليه وتدل عليه.

واختلف العلماء في اشتقاقه:

فقال بعضهم: إنه اسمٌ عَلَمٌ غير مشتق بل هو يدل على ذات الرب –تعالى– والله أعلم بمعناه.

وقال بعضهم: إنه مشتق من مادة "أله" أي الهمزة واللام والهاء.. وعلى القول الأخير فإنه يحمل معاني اسم "الإله" (الذي يقضي الحوائج، ويجير المستجير، وله التعالي والهيمنة و القوة ، والمتواري عن الأنظار، والذي يفزع إليه الإنسان، ويُولَع به، ويسكن إليه)[10].

وما أميل إليه أنه غير مشتق من مواد اللغة .. فهو "الله" قبل أن تكون اللغة وقبل أن يكون الاشتقاق!.

---

10 من كتاب: "المصطلحات الأربعة في القرآن" لأبي الأعلى المودودي (بتصرف)

أما على قول من قال بأنه مشتق من مادة (أله) فيحسن بنا الحديث قليلاً عن معاني الألوهية وعطائها، فهو سبحانه الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد..

يقال: أَلَهَ الرجل أي عَبَدَ.. وأَلَهَ جاره أي أمنه وحماه وأجاره..

ويقال أَلِهَ إلى الرجل أي لجأ إليه.. وأَلِهَ بالمكان أي أقام به..

وأَلِهَ الفصيل (صغير الجمل) أي حن واشتاق إلى أمه.

ففيها معاني العبادة والعبودية..والمحبة والشوق.. واللجوء والاحتماء.. والأمان والحماية.. والإقامة بغير مفارقة..

وعطاء الألوهية عطاء عظيم .. ولكي تدرك عظمته يكفيك أن تنظر إلى من حُرِم منه.. ممن اتخذ من دون الله آلهة.. فلا شرع يهديه.. ولا دليل يرشده.. لا يفرق بين الصواب والخطأ.. ولا بين الطيب والخبيث.. تجده يتخبط في الدنيا تخبط الأعمى .. يفعل ما يؤذيه.. ويتجنب ما ينفعه.. ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وعطاء الألوهية هو كل أَمْرٍ أَمَرَ الله به عباده المؤمنين.. وكل نهي

نهاهم عنه.. وكل تشريع أنزله إليهم.. وكل نصر ينصر به عباده المؤمنين في جهادهم لعدوهم.. وكل إعانة يعين بها العباد على عبادتهم والطائعين على طاعتهم.. وكل فضل يتفضل به على عباده المؤمنين لإيمانهم.. وكل سكينة يجدها العباد في قلوبهم.. وكل انشراح لصدورهم..وكل استشعار لمعيته سبحانه معهم.. وكل دعاء يجيبهم إليه.. ووكالتهم في كل أمر يتوكلون فيه عليه..وكفايتهم من كل مكروه وسوء في دينهم ودنياهم.. وكل أجر يتفضل به عليهم من النعيم في الآخرة.. بدايةً من خروج الروح في يسر بصحبة ملائكة الرحمة الذين يبشرونه بما يسُرُّه .. مروراً بالتثبيت عند السؤال في القبر.. والنعيم في حياة البرزخ.. والأمن من الفزع عند النفخ في الصور.. وحشرهم إليه وفداً تحت لواء الحبيب ﷺ.. ووورودهم على حوضه.. وشربهم من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا يظمؤون بعدها أبداً.. والتقاط صحفهم باليمين.. وتثقيل الموازين.. ثم العبور على الصراط غير مخدوشين ولا متعثرين.. وانتهاء بدخول الجنة في صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. والتنعم بما لا عين

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. وقمة هذا النعيم.. حين يتجلى لهم رب العالمين.. فينظرون إليه نظرة الحبيب المشتاق إلى حبيبه.. نظرة تنسيهم ما هم فيه من النعيم.. وأي نعيم أعظم من رؤية وجه الله الكريم!

الرب

اسم عَلَمٍ على ذات الله تعالى، وهو مشتق من الربوبية، وبذلك فهو يحمل معانيها ودلالاتها، مثل:

- المربي الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة.
- الكفيل والرقيب، والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال.
- السيد المطاع، والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم، والمعترف له بالعلاء والسيادة، والمالك لصلاحيات التصرف.

والربوبية هي القيام بالرعاية الكاملة للمربوب، فالرب هو الخالق الرازق المدبر.

وقد جعل الله أمام أعيننا نموذجاً مصغراً يوضح معاني الربوبية وهو ربوبية الوالدين لولدهما ، من يتأملها يتجلى له عظمة ربوبية الله عز

وجل لمخلوقاته، مع الفارق الهائل في ربوبية الله الذي لا تشبه صفاته صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فكون الأبوين سبباً في خلق الولد يشير إلى خلق الله تعالى لمخلوقاته بسبب وبغير سبب..يقول للشيء كن فيكون، فأول عطاء الربوبية الخلق والإيجاد.

ثم حين تنظر إلى الأم كيف ترعى وليدها وتحيطه بكل ألوان الحماية والرعاية، تطعمه وتسقيه، وتقوم على راحته على حساب راحتها، ثم تنظر إلى الأب كيف يسعى ويجتهد حتى يوفر لولده الرزق سواء في احتياجاته الأساسية أو في الكماليات، حينها تعرف عطاء الربوبية من الرب لخلقه في توفير الرزق والحماية والرعاية الدائمة **سواء شعروا بها أم لم يشعروا**، فالوليد لا يعي ما يفعله أبواه لأجله، ولكن هذا لا يجعلهم يفكرون ولو للحظة في حرمان الولد من ربوبيتهم لأنه لا يعي ما يفعلون ولا يشكرهم على ما يقدمون، فإذا فهمت ذلك علمت لماذا يرزق الله المؤمن والكافر، بل ربما يعطي

الكافر من الدنيا ما لا يعطي المؤمن، لأن هذا العطاء الدنيوي عطاء ربوبية مرتبط بكون الله تعالى رباً لمخلوقاته، أما العطاء الأكبر -عطاء الألوهية- فيعطيه الله تعالى للمؤمنين في الدنيا والآخرة كما تقدم، عطاء تاماً دائماً لا يحول ولا يزول.

وعطاء الربوبية يشمل جميع المخلوقات.. يخلقها ويرزقها ويدبر أمرها.. وهذا ما لم ينكره الكافرون .. فهم يقرون —عدا شرذمة من الملحدين- بربوبية الله تعالى وقيامه على خلقه بالرعاية.. وحينما يقعون في الضر لا يلجؤون إلا إليه ليرفع الضر عنهم.. لعلمهم أنه هو وحده القادر على ذلك.. وإنما كان كفرهم بمنازعة الله تعالى في ألوهيته.. فلم يخضعوا لأوامره ونواهيه.. بل عبدوا أهواءهم وأسيادهم من دونه.. ورغم ذلك لم يمنعهم عطاء ربوبيته من الرزق والرعاية العامة.. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

الرحمن

يُحكى أن الأصمعي كان موجودًا في مجلس ، وأحب أن يستشهد بآية من القرآن الكريم فقال : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم).. وكان من بين الجلوس في المجلس أعرابي ، فقال له : يا أصمعي لمن هذا الكلام ؟ فتعجب الأصمعي من السؤال وقال : هذا كلام الله عز وجل ، فقال الأعرابي بثقة : هذا ليس بكلام الله سبحانه وتعالى.

فانتشر اللغط بالمجلس ، وثار الحاضرون على الأعرابي الذي تطاول على القرآن الكريم ، وحاول أن ينكر آية من آياته ، لكن الأصمعي ظل محتفظًا بهدوئه وهو يسأله قائلًا : يا أعرابي هل أنت من حفظة القرآن ؟

فقال الأعرابي : لا ، فقال : حسنًا هل تحفظ سورة المائدة ؟ فكان جواب الأعرابي أيضًا بالنفي.. فقال الأصمعي : إذًا أخبرني كيف حكمت بأن تلك الآية ليست من كلام الله عز وجل ؟ فقال

الأعرابي بثقة مرة أخرى : أنا واثق من أن هذه الكلمات ليست من كلام الله.

ومع كثرة اللغط تم إحضار المصحف لحسم الجدال الذي انتشر في المجلس ، وفتح الأصمعي المصحف على سورة المائدة ، وأخذ يبحث عن الآية المنشودة وهو يقول بنبرة الفوز هذه هي الآية. اسمع ، وبدأ الأصمعي بالفعل في قراءة الآية : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾

لكنه حينما وصل إلى نهاية الآية وجد أنه قد أخطأ فيها ، فالآية تنتهي بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وليس (غفور رحيم) ، وهنا أعجب الأصمعي بنباهة الأعرابي وفطنته، حيث استطاع معرفة الخطأ في تلك الآية دون أن يكون من حفظة القرآن الكريم.

وبلغ الفضول من الأصمعي مبلغه ، فقال : يا أعرابي بالله عليك أخبرني كيف عرفت ؟ فقال الأعرابي : يا أصمعي **عزَّ فَحَكَمَ فَقَطَعَ ولو غَفَرَ وَرَحِمَ لَمَا قَطَعَ.**

فأنكر الأعرابي أن يكون هذا كلام الله لأن ختام الآية بالرحمة لا يتناسب مع ما فيها من شدة وعذاب.

ولعلك تتساءل أخي القارئ عن علاقة هذه القصة بالاسم الذي نعيش في ظلاله "الرحمن".

العلاقة أن هذا الاسم العظيم يختلط معناه على الكثير من الناس فيظنون أنه مشتق من الرحمة .. وقد قال بذلك فعلاً جمع من أهل العلم رحمهم الله، واضطروا أن يفرقوا بينه وبين اسم الرحيم فقالوا:" (الرحمن) خاص الاسم عام الفعل.. و(الرحيم) عام الاسم خاص الفعل.. وقال بعضهم: "الرحمن" اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله.."والرحيم" إنما هو في وجهة المؤمنين.. كما قال تعالى: "وكان بالمؤمنين رحيما"..

وقال آخرون: "الرحمن" بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة.. "والرحيم" بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم."

.. ولكن في الحقيقة إذا تتبعت هذا الاسم العظيم في القرآن الكريم تجد بوضوح وبحسب سياق الآيات الوارد فيها.. أن هذا

الاسم غير مشتق من الرحمة ولا يعبر عنها..كما قال بذلك طائفة أخرى من أهل العلم أنه "لا اشتقاق له لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه (أي اسم عَلَم).. ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتَّصل بذكر المرحوم.. فجاز أن يقال: "الله رحمن بعباده" كما يقال: "رحيم بعباده".. وأيضاً لو كان مشتقاً من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه.. إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم.. وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ "[11] .

فهوعَلَمٌ يدل على ذات الرب تبارك وتعالى مثل لفظ الجلالة "الله" ..ويليه في الفضل..قال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الله أَوْ ادْعُوا الرَّحمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا﴾ .. ويليه دائماً في البسملة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ولقد تتبعت هذا الاسم العظيم في كتاب الله عز وجل..لأنظر في السياق الذي ورد فيه.. وهل هو سياق رحمة يتناسب مع معنى الرحمة إذا افترضنا أن الاسم مشتق منها؟

11 راجع تفسير القرطبي : سورة الفاتحة

فوجدت أن اسم "الرحمن" ذُكِر في **ستة وخمسين موضعاً** من القرآن الكريم (بخلاف البسملة في بداية السور).

ووجدت أن هذا الاسم العظيم قد ورد في ثلاثة مواضع فقط في سياق الرحمة وهي:

قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحمَنِ وَفْداً﴾

وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحمَنُ وُدّاً﴾

وورد في تسعة مواضع (أي ثلاثة أضعاف) في سياق العذاب والشدة والخشية وهي:

قوله تعالى-على لسان إبراهيم عليه السلام-: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾

وقوله تعالى:﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحمَنِ عِتِيّاً﴾

وقوله تعالى:﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً﴾

وقوله تعالى:﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾

وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحمَنَ بِالْغَيْبِ﴾

وقوله تعالى:﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ﴾

وقوله تعالى:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

وقوله تعالى:﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِي لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾

وفي بقية المواضع الأربع والأربعين ورد **عَلَمَاً على ذات الله** في سياق يميل أكثره إلى **العظمة** وليس إلى الرحمة..مثل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَداً .. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً .. تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً .. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحمَنِ وَلَداً .. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً .. إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحمَنِ عَبْداً .. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً .. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾

ولو كان اسم "الرحمن" مشتقاً من الرحمة لما جاء في سياق العذاب في كل هذه الآيات.. ولجاء في معظم المواضع الست والخمسين في سياق الرحمة وهو ما لم يحدث.

وعليه فإنني أرى بأنه غير مشتق من الرحمة.. بل هو من الأسماء الأعلام الخاصة به سبحانه.. وهو أعلم بمعناه.

أما اسم الله "الرحيم" فهو مشتق من الرحمة بلا خلاف، وقد ورد في القرآن الكريم في مائة وثلاثة عشر موضعاً (خلاف البسملة في

أوائل السور).. ويدل دائماً على معنى الرحمة بالمؤمنين وبالتائبين..

ولا يأتي في السياق القرآني منفرداً أبداً ولكن مقترناً:

- إما بذكر المرحوم: "بكم رحيماً" – "بالمؤمنين رحيماً".
- وإما باسم من أسماء الله الأخرى بحسب السياق:
  - فإذا كان الحديث عن ذات الله تعالى اقترن باسم "الرحمن" الذي هو علم على ذات الله..كما في البسملة ..وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .
  - وإذا كان السياق سياق رحمة بالمؤمنين اقترن بأسماء: "الغفور"–"التواب"– "الرؤوف"– "البر"– "الودود"– "الرب".
  - وإذا كان السياق فيه صراع بين المؤمنين والكافرين أو إنذار الكافرين وتبليغهم الرسالة.. اقترن باسم "العزيز" الذي يغلب الكافرين ويرحم المؤمنين وينجيهم من أعدائهم..

وهذا يبين الاختلاف الواضح في استخدام اسم "الرحمن" واستخدام اسم "الرحيم" في السياق القرآني البليغ فتأمله.

مما سبق يتضح أن اسم "الرحمن" يشبه لفظ الجلالة "الله" في الاستخدام كعَلَم على ذات الله تعالى بجميع صفاته، ولا يشبه في الاستخدام اسم "الرحيم" والذي يختص بصفة الرحمة، وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فما عليك إلا ان تأتي بالآيات التي ذكر فيها اسم "الرحمن" وتقوم باستبداله في ذهنك بلفظ الجلالة "الله" ثم ترى هل يستقيم السياق أم لا، ثم تكرر ذلك باستبداله باسم " الرحيم " ثم تنظر هل يستقيم السياق أم لا.

فإذا فعلت ذلك سيتبين لك بوضوح لا شك فيه أن اسم "الرحمن" هو كلفظ الجلالة عَلَم على ذات الله، وليس كاسم " الرحيم " الذي هو اسم صفة يدل على كمال رحمته سبحانه.

ولعل سائل أن يسأل: لماذا تهتم كثيراً بهذا الأمر؟ فسواء أكان مشتقاً من الرحمة أم غير مشتق.. وسواء أكان اسم علم أم اسم صفة.. فهو اسم عظيم من أسماء الله الحسنى وكفى.

وأجيب: بأن اسم الرحمن اسم خاص جداً ليس كغيره من الأسماء.. ولا يقارن إلا بلفظ الجلالة الله الذي له ما تعلمون من قيمة بين الأسماء الحسنى.. فينبغي للعارف بالله تعالى أن يقدره حق قدره.. ويعرفه على حقيقته.. فهو الاسم الوحيد الذي قال بعده : ﴿فَاسأَل بِهِ خبيراً﴾ ، فليس كل الناس يدرك قيمته .. فكن من الخبراء..

وكذلك هو الاسم الوحيد الذي أمر تعالى بالدعاء به نصاً بعد لفظ الجلالة : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾، فاقدر له قدره.

وكذلك فالإحصاء الذي ذكره الرسول ﷺ في حديثه "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة" ليس مقصوداً به حفظها فقط.. وإنما الإحصاء يستلزم فهم معانيها ومعايشتها ودعاء الله بها.. إذ كيف تدعو الله تعالى باسم لا تفقه معناه؟!.. فإذا أردت أن تكون ممن "أحصاها" فيجب عليك أن تعرف معنى كل اسم منها ومقتضاه.

ولتعلم كذلك أن دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى ينقسم إلى قسمين: دعاء ثناء ودعاء طلب.. ففي دعاء الثناء تحتاج أكثر إلى أسماء الذات .. وفي دعاء الطلب تحتاج أكثر إلى أسماء الصفات..

ففي الثناء تقول-مثلاً : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد..

أسألك يا الله يا رحمن .. بجلالك ونور وجهك.. يا حي يا قيوم..يا حنان يا منان.. يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام..ونحو ذلك

أما في دعاء الطلب فتقول: يا مغيث أغثني.. يا غفور اغفر لي.. يا رزاق ارزقني ..يا رحيم ارحمني.. ونحو ذلك

فعندما تعلم حقيقة الاسم وقيمته ومعناه تضعه في مكانه الصحيح في قلبك وفي دعائك فيكون أرجى للإجابة بإذن الله تعالى.

ثانياً: صفات وأفعال القدرة والكمال:

الحميد

والحمد هو غاية المدح للمحمود.. وذِكرُه بما فيه من صفات الكمال التي تؤهله لذلك الحمد.. وقد اختاره الله تعالى ليفتتح به أعظم كتبه:﴿الحمد لله رب العالمين﴾..

والله تعالى هو أعظم من يُحمَد.. فله الحمد سبحانه.. هو أهل الحمد كله.. إذِ اتصف بجميع صفات الكمال التي يُحمَد صاحبها.. والحمد أصل صفات الكمال كلها وإليه ترجع جميعاً..ولعل ذلك سرُّ اختيار الله تعالى اسمَ رسوله الخاتم ومصطفاه من خلقه "محمد" ﷺ.. ومعناه "من يُكثِر الناس من حمده.. في كل زمان وفي كل مكان" فكما اتصف الله تعالى بالحمد لاتصافه بجميع صفات الكمال الإلهي.. فقد اتصف رسوله ﷺ بالحمد لاتصافه بجميع صفات الكمال البشري.

وكثيراً ما يخلط الناس بين الحمد والشكر..غير أن الحمد أعظم وأوسع وأعم من الشكر..

فالحمد هو ذكر المحمود بصفات الكمال التي أدت إلى كونه محموداً..

فمثلاً: إذا رأيت شاباً قوياً خلوقاً صالحاً باراً بوالديه مخلصاً لدينه متقناً لعمله.. اجتمعت فيه كل الصفات التي يُحمَد عليها مثله.. فتقول عنه "نِعمَ الشاب هذا".. فهذا المدح هو تلخيص لكل الصفات التي حمدتها فيه..

كذلك –ولله المثل الأعلى- حين تتفكر في صفات كمال الله تعالى وواسع فضله وكريم عطائه وعظيم قدرته.. تقول "الحمد لله" أي أن الله تعالى له الحمد –وهو أعظم المدح- على كل صفات كماله الإلهي.

أما الشكر فهو مرتبط بالنعم.. ويكون بالقلب (استحضاراً واستشعاراً للنعمة) وباللسان (بقول الحمد لله والاعتراف بالنعمة) وبالجوارح (بتسخير تلك النعمة في طاعة الله).

فأنت تحمد الله على صفات كماله.. وتشكره على جزيل إنعامه.

ولكن لماذا نشكر الله بقولنا "الحمد لله"؟!

الحقيقة أن لفظ "الحمد" أبلغ الألفاظ في الشكر.. فهو يعبر عن الشكر متضمناً مدح المشكور بخصال كماله التي أدت إلى إنعامه عليك بالنعمة التي تشكره عليها.

فمثلاً: تخيل أنك كنت تمشي مسافة طويلة في الحر .. وقد أعياك الجهد والظمأ.. فمررت بأهل بيت لا تعرفهم.. وطلبت منهم بعض الماء لتروي ظمأك.. فأدخلوك إلى دارهم .. وأجلسوك على فرشهم.. وأتوا إليك بالماء البارد فشربت حتى ارتويت.. فلما هممت بالرحيل أصروا أن تتناول معهم الطعام (وهم لا يعرفونك) فأتوا إليك بأطايب الأطعمة فأكلت حتى شبعت.. ثم أتوا إليك بالفاكهة الطازجة اللذيذة.. ثم ودعوك بابتسامة جميلة ودعاء بالتوفيق.

تخيل نفسك وقد أردت أن تشكر لهؤلاء فعلهم.. هل تقول لهم: أشكركم؟! هل تكفي هذه الكلمة في مقابل كل هذا الكرم؟! بل إذا أردت شكراً يليق بما قدموه لك فإنك تقول لهم :"واللهِ نِعمَ

الناس أنتم.. لله دَرُّكُمُ من أهل بيت كريم " فمدحك لذواتهم ولحسن صنيعهم بك أبلغ في الشكر من مجرد استخدام لفظ الشكر.

ولذلك كان الشكر لله تعالى على واسع فضله وعظيم نعمه وجزيل عطائه بأن تذكره بمحامده وصفات كماله التي أدت إلى إنعامه عليك فتقول: "الحمد لله".

فإذا أكلت تقول"الحمد لله" الذي أخرج الزرع من الأرض بقدرته.. وسخر لك الأنعام برحمته..ورزقك المال الذي تشتريه به بكرمه.. وعافاك من البلايا التي تحول بينك وبينه بعفوه.. وأحل لك الطيبات وحرم عليك الخبائث بعلمه.. فأنت تشكر الله الذي أطعمك وتذكره بصفات كماله التي أدت إلى أن ينعم عليك بنعمة الطعام.. وقل مثل ذلك في كل ما ينعم الله به عليك من نِعَمِهِ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

وإذا أخذنا جولة قرآنية كريمة لنتتبع ذكر صفة الحمد أو اسم الحميد سنجد ذلك كثيراً جداً .. مبثوثاً في آيات الذكر الحكيم.. بل به افتتح الله تعالى كتابه العزيز في صدر أم الكتاب .. وبه افتتح سورة

من أعظم سور القرآن .. سورة الأنعام.. التي تتحدث عنه سبحانه .. وعن عظيم شأنه وبديع آياته.. فنجدها افتتحت بهذا الافتتاح المهيب:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

فتذكر الله تعالى بالحمد الذي هو أصل صفات الكمال.. ثم تستحضر صورة السموات العالية الرفيعة.. والأرض المنبسطة الفسيحة.. وأنه سبحانه هو من خلق هذه وتلك.. ثم تُدخِلك في الظلمات لتستوحش منها وتصيبك الرهبة.. وبعد ذلك تنقلك إلى النور الذي به ترى الأشياء على حقيقتها.. وتنبهك إلى أنه وحده من جعل الظلمات والنور.. وأنه وحده الذي يستطيع أن يخرجك من الظلمات إلى النور .. ولكن من تحجرت قلوبهم بالجحود والنكران.. عميت عيونهم عن رؤية السموات والأرض ..والتفريق بين النور والظلام .. فيعدلون بين خالق السموات والأرض وبين مخلوقيه.. فأي تيه في الظلمات.. وأي بُعد عن النور.. ولذلك حق

أن يحمد الله إذ قطع دابر هؤلاء المجرمين.. الذين ظلموا أنفسهم بالبعد عن طريق ربهم.. وظلموا العباد بالصد عن سبيل الله..﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم ننتقل إلى مشهد آخر.. مشهد الصالحين حين يعاينون إكرام الله لهم يوم القيامة.. إذ نزع من قلوبهم كل ما يؤذيهم.. وأدخلهم دار إحسانه.. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ فتلهج قلوبهم وألسنتهم بالحمد الواجب لهذا الإله الكريم الذي لولاه ما اهتدوا إلى سبيله في الدنيا.. وما وصلوا إلى دار كرامته في الآخرة ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ويظل الحمد يلازمهم في حياتهم الآخرة .. كلما استشعروا نعمة الله عليهم وكرامته.. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ولا يزالون يختمون كلامهم بالحمد حتى يصير سمة لهم

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وكما أن الحمد ديدن الصالحين في أخراهم.. فهو ملاذهم في دنياهم.. إذا ضاقت صدورهم وكثرت همومهم.. تذكروا أن لهم رباً حميداً .. قادراً على إزاحة تلك الهموم.. وشرح تلك الصدور.. فراحوا يسبحون بحمده وله يسجدون.. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

ولا تظن أن هذا شأن الصالحين من بني آدم وحسب.. بل هو شأن ملائكة الله الكرام وحملة عرشه.. ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾..﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾..﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾

بل هو في الحقيقة شأن مخلوقات الله جميعاً.. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.. وحتى الكفار حين ينكشف عنهم الغطاء يوم القيامة.. ويرون من كمال الله وقدرته ما كانوا في الدنيا يجحدون.. لا يملكون إلا الإعلان عن ذلك أذلاء صاغرين..﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾.. هؤلاء الذين رفضوا الحمد في الدنيا إذ رأوا آيات الله بينات..﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.. رفضوه رغم علمهم أن الله تعالى هو خالقهم وخالق كل شيء..﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

ولذلك كان الأمر من الله تعالى لمن آمن به أن يجهر بهذا الحمد دوماً.. فهو الإله الذي لا يحابي أحداً.. ولم يترك شؤون عباده في يد أحد غيره.. وهذا وحده يستحق الحمد والثناء وإن لم يكن من نعم الله غيره..﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾..﴿وَهُوَ اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

وهو الذي لم يترك عباده تائهين في غياهب الأوهام.. بل أنزل إليهم وحياً من عنده.. كتاباً غير ذي عوج.. يهديهم به إلى كل صلاح.. ويبعدهم به عن كل سوء.. وهذا من أعظم ما يستوجب الحمد..﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾

ثم نجد هذا الأمر بتفويض كافة الأمور إليه.. والاعتماد في كل الشؤون عليه.. فهو وحده من له كل صفات القدرة والكمال التي بها يكفيك أمرك ويغنيك عن من سواه..﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.

والله تعالى له الحمد في كل مكان وفي كل زمان.. ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾..﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

كما أنه من علامات إيمان المؤمنين..﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وكما أن الحمد لله واجب.. فالثناء على من اصطفاهم من أنبيائه ورسله واجب كذلك.. فهم من حملوا أمانة الوحي وتبليغ الرسالة..﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾.

فلا ينبغي لنا أن نغفل عن "الحمد لله".. فهي تملأ الميزان..إذا قلتها مستحضراً صفات الكمال الإلهي..ومستشعراً جزيل عطاء الله لك وجميل نعمه عليك.

والحمد أوجب الواجبات على كل من عرف الله تعالى بصفات كماله.. وعرف نعم الله التي يغدقها عليه صباح مساء..

وإذا سألك أحد عن حالك فلا تشكو له الله.. ولكن قل:أنا في نعمة والحمد لله.. فإنك والله في نعمة من الله مهما كان بك من البلاء.

فلله الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد.. أهل الثناء والمجد..

لك الحمد يا ربنا في السراء والضراء.. لك الحمد في الأولى والآخرة..

لك الحمد أنك أنت ربنا لم تكل أمرنا لأحد سواك.. رب رحيم ودود كريم.

لك الحمد على نعمة معرفتك..

وشكر هذه النعمة أن نجتهد في التقرب إلى الله بمقتضى هذه المعرفة..

فإذا أردنا أن نتقرب إلى الله بمقتضى اسم "الحميد":

فلنداوم على حمد الله وشكره بقلوبنا.. وألسنتنا.. وأعمالنا..

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

ولنتخلق بمحاسن الأخلاق التي يُحمَد صاحبها.. من الصدق.. والعفاف.. والأمانة.. والإحسان إلى الناس.. ولن يتأتى لنا ذلك إلا بعون الحميد..

فنسأل الله الحميد أن يحسن أخلاقنا ويجعل سيرتنا في الناس محمودة..

وأن يجعل ذلك ابتغاء مرضاته والقرب منه سبحانه.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾..

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الحي القيوم

الحي.. الذي له الحياة الدائمة الكاملة.. فكمال الحياة أصل في كمال جميع الصفات.. فلا يمكن أن يتصف بجميع صفات الكمال من لم تكن حياته دائمة كاملة.

والقيوم.. هو كامل القيومية.. وله معنيان :

"الأول: الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته..

الثاني: الذي قامت به الأرض والسماوات وما فيهما من المخلوقات.. فهو الذي أوجدها وأمدها وأعدها لكل ما فيه بقاؤها

وصلاحها وقيامها.. فهو الغني عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه..فهو يقوم على شؤون خلقه بالرعاية.. ولا تقوم الخلائق إلا به..

فيالسعادة المؤمن بهذين الاسمين..

فأي خوف وأي قلق يصيب المؤمن بعد معرفته بهذين الاسمين..

ومِمَّ يخاف وهو يتوكل على الحي الذي لا يموت..

وعلامَ يقلق وربُّه القيوم هو الذي يقوم على شؤونه..

فالمؤمن بهذين الاسمين يستند إلى ركن شديد..

فما علينا إلا أن نحسن التوكل على الله..

ونفوض أمرنا كله لله..

ونبذل ما في وسعنا من الأخذ بالأسباب طاعةً لأمر الله..

مع إيماننا بأن النتائج بيد الله وحده[12]..

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث..

أصلح لنا شأننا كله.. ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

[12] للاستزادة في موضوع التوكل راجع كتاب "نصف الدين..إياك نستعين" للمؤلف

المحيط

وهو الذي أحاط بكل شيء **علماً وقدرةً وتدبيراً**.. فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.. ولا يخرج شيء في ملكه عن تدبيره.. فهو سبحانه بكل شيء محيط.. فإذا خشيت أحداً من أعداء الله فاعلم أنه من ورائهم محيط.. وأنه بما يعملون محيط.. وأنه محيط بالكافرين.

وللتفصيل في صفة الإحاطة نفصل في صفات العلم والقدرة والتدبير

أولاً: العلم:

الله تعالى هو خالق كل شيء.. ويستحيل عقلاً ومنطقاً أن يكون قليل العلم بشيء هو خلقه.. فبما أنه خالق كل شيء فهو بالضرورة عليم بكل شيء:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.. سبحانه يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن.. ويعلم ما لن يكون لو كان كيف كان سيكون .. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.. فهم لن يردوا إلى الدنيا ولكن الله يعلم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

ونحن كمخلوقين جعل الله تعالى لنا أدوات للتعلم مثل السمع والبصر وبقية الحواس. أما علم الله تعالى فهو علم مطلق لا يحتاج إلى أدوات.. ورغم ذلك فقد وصف الله تعالى نفسه بصفات السمع والبصر وأثبتها لنفسه على الحقيقة لا على سبيل المجاز.. ولكن سمعه ليس كأسماعنا.. وبصره ليس كأبصارنا.. وعلمه مطلق وخبرته لا حدود لها..

فهو **السميع**..

البصير..

العليم..

الخبير..

وهو **الرقيب** على كل شيء..

يعلم ما في السموات وما في الأرض ..

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

يعلم المفسد من المصلح..

ويعلم سركم وجهركم..

يعلم السر وأخفى..

ويعلم ما تكسبون..

يعلم ما تبدون وما تكتمون..

وما تسرون وما تعلنون ..

يعلم ما في أنفسكم فاحذروه..

يعلم ما تكسب كل نفس..

يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ..

يعلم ما توسوس به أنفسنا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد..

يعلم ما في قلوب المنافقين و يكتب ما يُبَيِّتُون..

وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم..

وهو عليم بالمتقين..

عليم بالظالمين..

عليم بالمفسدين..

عليم بذات الصدور..

بما تعملون عليم..

بصير بالعباد ..

يدرك الأبصار ..

خبير بما يصنعون ..

على كل شيء رقيب..

أعلم بإيمانكم..

أعلم بأعدائكم..

أعلم بالشاكرين..

أعلم بالظالمين ..

أعلم حيث يجعل رسالته ..

أعلم بما يُنَزِّل.

عالم الغيب والشهادة ..

لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا في السماء..

لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا..

لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ الله .. علام الغيوب..

وهو **الباطن** (الذي يخفى عن الأبصار ولا يخفى عليه شيء) ..

وعند الله مكر الماكرين..

وهو **الحسيب** الذي يحسب كل شيء حساباً دقيقاً .. ويحاسب الخلائق على أعمالها.. ويكفي عباده ومن توكل عليه فهو حسبهم ونعم الوكيل.. أحصى أعمال العباد وينبئهم بها يوم القيامة.. أحصى كل شيء عددا.. وهو أسرع الحاسبين .. وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا

.وهو **الشهيد** الذي يشهد على كل شيء .. وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا..

وهو **الواسع**.. الذي وسع كل شيء علماً ..

ثانياً: القدرة:

فكما أن له العلم المطلق فإن له القدرة المطلقة.. فهو سبحانه **على كل شيء قدير**..

لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء..

فعال لما يريد.. يفعل ما يشاء.. يفعل ما يريد.. كان أمره مفعولاً..

على ما يشاء قدير.. على نصر المظلومين لقدير.. يمسك الطير في جو السماء.

جامع الناس ليوم لا ريب فيه.

ثالثاً: التدبير:

يدبر الأمر ..

إذا أراد أمراً يسر أسبابه..

يرتب الأمور على الأمور.. ويسخر الخلق للخلق..

فكم من رزق مخلوق يجعله عند مخلوق آخر..

أخرج يوسف من السجن برؤيا رآها الملك..

ربى موسى في قصر فرعون وهو الذي كان يبحث عنه بين المواليد ليقتله..

نصر الإسلام بستة نفر من يثرب.. كانوا يسمعون عن قرب ظهور النبي من اليهود..

فجعل أعداء النبي من اليهود سبباً في ظهور الإسلام وتمكينه وإقامة دولته..

جعل القافلة تفلت من المسلمين في بدر ليبدلهم بها نصراً وفتحاً وفرقاناً إلى أبد الدهر..

أرادوا أموال قريش فمنحهم فلذة أكبادها..

أرادوا العير وأراد الله لهم النفير..

فمن غيره يدبر الأمر؟!

وهو الذي كتب مقادير العباد..

ويقلب الليل والنهار.. والصحة والمرض.. والفقر والغنى..

يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ.

فذلكم الله ربكم.. أحاط بكل شيء علماً وقدرة وتدبيراً..

فإذا عرفنا أنه يسمعنا.. فهل سنقول ما يكره أن يسمعه منا؟

وإذا عرفنا أنه يرانا.. فهل سنفعل ما نستحيي أن يرانا عليه؟

وإذا استشعرنا قربه منا.. ومراقبته لنا.. وعلمه التام بما في داخل نفوسنا..وما تخفيه قلوبنا..

فهل آن الأوان لكي نطهر قلوبنا مما يكره أن يراه فيها؟..

من الغل.. والحقد.. والحسد..

من الغرور.. والإعجاب بالنفس ..والكبر..

من الرياء.. والبغضاء.. والشحناء؟

وإذا استشعرنا أنه على كل شيء قدير.. فهل نرجو النفع عند سواه؟ أو نخاف الضر من غيره؟

هل ما زال منا من يذهب إلى كاهن أو دجال ظاناً أنه يعلم شيئاً من الغيب؟ أو يقدر على جلب نفع أو دفع ضر؟

وإذا علمنا أنه يدبر كل الأمور.. فهل يأْسِرُنا الهم على ما مضى.. أو الخوف مما هو آت؟

أم سنفوض الأمور كلها إليه..ونتوكل فيها عليه.. ونرضى بتدبيره .. ونلجأ إلى حماه؟

نسأل الله العليم القدير أن يُعَلِّمنا ما ينفعنا.. وأن ينفعنا بما علمنا..

وأن يرزقنا حسن مراقبته وتقواه في السر والعلانية..

وأن يدبر لنا أمورنا بما يعلم من الخير لنا..

وأن يرضينا بقضائه وقدره..

إنه على كل شيء قدير.

الحكيم

وهو الذي يضع كل شيء في موضعه.. أرسل الرسل وشرع الشرائع..

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾

ويجمع في معناه الصفات والأفعال التالية فتأملها:

كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ .. خلق كل شيء بقَدَر.. قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً..

لا يُطلِع الناس على الغيب إلا من اجتبى من رسله..

لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ..

وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيراً..

وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ..

أمره قدر مقدور..

يؤتي الحكمة من يشاء..

يبلو خلقه ويبتليهم.

نسأل الله الحكيم أن يؤتينا الحكمة في الأمور كلها..

ونعوذ به أن نتهمه في قضائه وقدره..

وعلينا أن نثق في حكمة الله تعالى في كل ما قضى وقدر.. وفي كل ما أمر وشرع..

وأن نرضى بذلك ونعلم أن الخير كل الخير فيه..

فالحكيم لا يصدر عنه إلا كل خير ورشد وصواب.

وعلينا أن نتحلى بالحكمة في كل أمورنا .. فلا ننساق خلف أهوائنا وشهواتنا..

بل نزن أقوالنا وأفعالنا بميزان الحكمة التي آتانا إياها.

الأول الآخر

هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء..

هو الأول الذي كان ولم يكن معه شيء..

هو الأول الذي منه وحده جاء للخلق كل شيء..

وهو الآخر الذي يبقى ولا يبقى معه شيء..

فلا شيء مما ترى تبقى بشاشَتُهُ يبقى الإله ويفنى المالُ والولدُ

ويجمع هذان الاسمان العظيمان في معناهما الصفات والأفعال التالية فتأملها:

وما بكم من نعمة فمن الله..

وأن إلى ربك المنتهى.. إن إلى ربك الرجعى..

خير الوارثين .. له ميراث السموات والأرض..

إليه تُرجع الأمور.. عنده حسن المآب..

إليه تحشر الخلائق.. إليه مرجعكم جميعاً..

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه..

خيرٌ وأبقى.. كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ..

ألا إلى الله تصير الأمور.

نسأل الله أن يرزقنا حسن الختام..

وأن يجعل خير أعمارنا آخرها..

وخير أعمالنا خواتيمها..

وخير أيامنا يوم أن نلقاه.

السبوح القدوس

وهو الطاهر من كل عيب المنَزَّهُ عن كل نقص.. والمنزه عن المشابهة في الكمال.. ليس كمثله شيء.. سبحانه وبحمده.. تباركت أسماؤه وتقدست صفاته..

ويجمع هذان الاسمان الكريمان في معناهما ما يلي من الأسماء والصفات فتأملها:

الطيب..

الصادق..

الحق..

سبحان الله ..

تبارك الله..

ما خلق السموات والأرض والشمس والقمر إلا بالحق .

يقول الحق .. يقُص الحق..

وعده الحق.. قوله الحق.. لَهُ دَعْوَةُ الحق.

يأمر بالقسط .. أنزل الميزان ليقوم الناس بالقسط..

يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.. وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ..

إن أكرمكم عند الله أتقاكم..

إن ربي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ..

لايمسه لغوب (نصب أو تعب)..

يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ..

وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبّحُ بحَمْدِهِ ولكنْ لا تفقَهُون تَسْبيحَهُم..

لا يخلف الميعاد .. ومن أوفى بعهده من الله..

لا يظلم الناس شيئاً.. لا يظلم مثقال ذرة ..

ليس بظلام للعبيد .. ما يريد ظلماً للعالمين..

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ..

لا يستحيي من الحق.. لا يستحيي أن يضرب مثلاً مابعوضة فما فوقها..

لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم ..

لا يأمر بالفحشاء ..

لا يُضِلُّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون.

يزكي من يشاء.. يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم.

فحري بنا أن نتخَلَّق بأخلاق الله على قدر ما نستطيع..

فننطق بالصدق.. ونحكم بالعدل.. ولا نستحيي من الحق..

ونسأله تعالى أن يطهرنا من كل ما يكره من أخلاقنا وسلوكنا..

وأن يجعلنا ممن ينصرون الحق.. ويقاومون الظلم.. ويدعون إلى الخير.

الخلاق

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الخالق.. يقدر الخلق ويقرره..

البارئ.. ينفذ الخلق ويظهره..

المصور.. يصور الأشكال ويميزها..

فاطر السموات والأرض..

بديع السموات والأرض ..

فالق الحب والنوى.. فالق الإصباح..

خالق كل شيء.. يخلق ما يشاء..

أحسنُ الخالقين ..

أحسنَ كل شيء خلقه.. أتقن كل شيء..

خلق كل دابة من ماء ..

وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ..

أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا..

مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ..

يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ..

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.. يغشي الليل النهار..

يُبدئ ويعيد.. يَبدأ الخلق ثم يعيده .. يُنشِئ النشأة الآخرة.

فما أجمل أن نتأمل في مخلوقاته وبديع صنعه لنتعرف من خلالها على صفاته ..

وما أحلى أن يسعى المؤمن إلى أن يكون مُبدِعاً.. يبتكر ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم.. ويرتفع بشأن أمته في عصر الابتكارات والسباق التقني..

وكل مسلم يستطيع أن يبدع في مجال عمله ويضيف جديداً مفيداً على قدر استطاعته..

نسأل الله الخلاق أن يعيننا على ذلك..

الرزاق

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الرازق..

الفتاح..

المُقِيت (يمنح القوت لخلقه)..

المعطي..

يقبض ويبسط..

خير الفاتحين..

خير الرازقين..

خير المنزلين..

ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها..

يُطعِم ولا يُطعَم..

يرزق من يشاء بغير حساب..

يرزقكم من السموات والأرض..

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ..

يسيركم في البر والبحر..

يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ.. وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ..

أغنى وأقنى.. أضحك وأبكى..

يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ..

اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين..

اصطفى مريم وطهرها .

فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ..

وإن يمسسك الله بِضُرٍ فلا كاشف له إلا هو.. وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير..

سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ..

سخر الشمس والقمر والنجوم لمصلحة الخلائق..

وَالله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً.. وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

نسأل الله الرزاق أن يوسع أرزاقنا..وأن يبارك لنا فيها..

وأن يعيننا على شكره بحسن التصرف فيما رزقنا..

من مال.. وصحة.. وأولاد.. وعلم.. وفكر..

ونعوذ به أن نطلب الرزق من غيره..

أو أن نسير في غير طريق مرضاته طلباً للرزق..

فالرزق بيده وحده ولا يُطلَب إلا بطاعته.

وعلينا ألا نبخل بما آتانا الله إذا وجدنا من يحتاجه .. من مال وعلم وخبرة وغيرها..

"أَنفِق يا ابن آدم أُنفِق عليك".

يحيي ويميت

فهو واهب الحياة ونازعها..

حياة الأبدان والأرواح والقلوب..

حياة الأمم والشعوب..

ويجمع هذان الاسمان العظيمان في معناهما ما يلي من الصفات والأفعال فتأملها:

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي..

يبعث الموتى.. يبعث من في القبور ..

أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..

يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا.. فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى..

وَلَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا..

يحيي الأرض بعد موتها..

يحيي القلوب الميتة.. ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾

نسأله تعالى ألا يقبض أرواحنا إليه إلا وهو راضٍ عنا..

وأن يحيي قلوبنا.. وأن يجعلنا سبباً في حياة القلوب والأرواح والأبدان..

وأن يحيي ما جدب من أرض المسلمين ويحفظ أرواح من يعيشون عليها..

وأن يحيي ما مات من أخلاق الناس ومروءتهم.. وحيائهم وتعففهم..

وأن يحيي أمة الإسلام بالعودة إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ.

ثالثاً: صفات وأفعال الرحمة والجمال:

الرحيم

هو أصل هذه الصفات والأفعال.. وإليه ترجع معانيها..

وهو مشتق من الرحمة.. وقد ورد في القرآن الكريم في مائة وثلاثة عشر موضعاً (خلاف البسملة في أوائل السور).. ويدل دائماً على معنى الرحمة بالمؤمنين وبالتائبين.. ولا يأتي في السياق القرآني منفرداً أبداً ولكن مقترناً:

- إما بذكر المرحوم: "بكم رحيماً" – "بالمؤمنين رحيماً".
- وإما باسم من أسماء الله الأخرى بحسب السياق:
  - فإذا كان الحديث عن ذات الله تعالى اقترن باسم "الرحمن" الذي هو علم على ذات الله..كما في البسملة ..وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .

- وإذا كان السياق سياق رحمة بالمؤمنين اقترن بأسماء: "الغفور"–"التواب"– "الرؤوف"– "البر"– "الودود"– "الرب"..
- وإذا كان السياق فيه صراع بين المؤمنين والكافرين أو إنذار الكافرين وتبليغهم الرسالة.. اقترن باسم "العزيز" الذي يغلب الكافرين ويرحم المؤمنين وينجيهم من أعدائهم..

وقد قسم سبحانه وتعالى رحمته إلى مائة جزء.. أبقى منها تسعة وتسعين جزءاً لرحمة عباده المؤمنين يوم القيامة.. وأنزل منها جزءاً واحداً في الدنيا.. فَبِهِ تتراحم الخلائق.. حتى ترفع الفرس حافرها عن وليدها مخافة أن تطأه.. وبه يرحم الآباء أبناءهم.. ويرحم الكبار صغارهم.. ويرحم الناس بعضهم بعضاً.. ويرحم الإنسان كافة المخلوقات.

ويجمع اسم الله **الرحيم** في معناه كذلك ما يلي من الأسماء والصفات فتأملها:

الرؤوف ..

العفو..

البَر..

السلام..

المؤمن..

التواب ..

الغفور..

الغفار..

الحليم..

اللطيف ..

الشافي..

الرفيق..

رؤوف بالعباد .. غافر الذنب.. قابل التوب..

ذو مغفرة.. واسع المغفرة.. أهل المغفرة..

ذو الرحمة.. ذو رحمة واسعة.. رحمته قريب من المحسنين..

خير الغافرين.. خير الراحمين.. أرحم الراحمين ..

لطيف لما يشاء.. يغفر لمن يشاء.. لا يغفر الذنوب إلا هو..

يقبل التوبة عن عباده .. يبدل سيئات التائبين حسنات..

يتوب على من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً..

لا يُكَلِّفُ الله نَفْساً إلا وُسعَها ..

لا يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا..

لا يعذب الناس وهم يستغفرون..

لا يأس من رحمته.. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ..

يُدخِل المؤمنين في رحمته..

يُدخِل من يشاء في رحمته ..

يريد أن يتوب عليكم.. يريد أن يخفف عنكم..

يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.. ما يريد أن يجعل عليكم من حرج..

وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ..

مَا يَفْتَحْ الله لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ..

يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته.

نسأل الله الرحيم أن يرزقنا من لدنه رحمةً يغنينا بها عن رحمة من سواه..

رحمة لا نشقى بعدها أبداً..

رحمة في الدنيا بالثبات على طاعته..

ورحمة في الآخرة يدخلنا بها دار رضوانه..

ويجيرنا بها من دار عقوبته.. ومشقة حسابه..

وأن يجعلنا من المرحومين.. ولا يجعلنا من المحرومين.

وعلينا أن نرحم الناس صغيرهم وكبيرهم.. بل ونرحم الخلائق من حولنا..فمن لا يَرحم لا يُرحم..

وقد دخل رجل الجنة لأنه سقى كلباً..ودخلت امرأة النار لأنها حبست قطة ومنعت عنها الطعام.

فلنرحم أنفسنا بمنعها عن الظلم.. وعن الذنوب والتقصير في حق الله وحق العباد..

ونرحم والدينا ونحسن إليهما.. ونسأل لهما الرحمة كما ربيانا صغاراً..

ونرحم أهلينا وأولادنا بحسن الرعاية لهم.. وتربيتهم على ما يبلغهم رحمة الله.. من حسن العمل وحسن الخُلُق والرحمة بالآخرين.

ولنتمسك بالقرآن.. ونعمل به.. وندعو إليه.. فهو رحمة الله التي أنزلها إلى عباده.

الحفيظ

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

السِتّير (يستر سيئات عباده ويحفظ أسرارهم) ..

خير الحافظين.. خيرٌ حافظاً ..على كل شيء حفيظ..

جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس (حفظاً للدين وللدماء).

لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..

يُبطل سحر الساحرين..

جعل لكل إنسان حفظة من الملائكة يحفظونه مما لم يقدر له..

يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا..

وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ..

نسأل الله الحفيظ أن يحفظنا في ديننا.. ودنيانا.. وأهلينا..وأولادنا.. وأموالنا..

وأن يحفظ علينا نعمه بإعانتنا على شكرها..

وعلينا أن نحفظ الله في أوامره باتباعها.. وفي نواهيه باجتنابها.

وأن نحفظ الأمانات ونؤديها إلى أهلها.

"احفظ الله يحفظك..احفظ الله تجده تجاهك"

الولي

وهو الذي يتولى عباده المؤمنين وينصرهم على أنفسهم وشياطينهم وأعدائهم.. وهو ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.

ويجمع في معناه ما يلي من الأسماء والصفات فتأملها:

المولى..

النصير ..

ولي المتقين.. ولي المؤمنين..

كفى به ولياً.. كفى به نصيراً..

خير الناصرين ..يتولى الصالحين..

يدافع عن الذين آمنوا ..يتخذ من المؤمنين شهداء..

يبرئ عباده المتهمين بالباطل..ينجي الذين اتقوا بمفازتهم..

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم..

نصر رسوله ﷺ.. نصركم في مواطن كثيرة.

أَوْلِيَاء الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة.

ينبئ المؤمنين أخبار أعدائهم من المنافقين والكافرين.

لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

لا يذر المؤمنين مختلطين مع المنافقين حتى يميز منهم الخبيث من الطيب.

وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.. وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ.. وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً.

نسأل الله الولي أن يجعلنا من أوليائه.. وأن يتولانا وينصرنا على أعدائنا..

وعلينا أن نتولى الصالحين والمصلحين.. ونحبهم.. وننصرهم على الفاسدين والمفسدين.

الشكور

وهو الذي يقبل القليل من العمل ويعطي عليه الجزيل من الأجر..

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الشاكر..

يتقبل من المتقين ..

يرضى عن المؤمنين..

يضاعف لمن يشاء..

يأخذ الصدقات .. يُربي الصدقات..

يجزي الشاكرين.. يجزي الصادقين بصدقهم ..

يجزي المتصدقين..يجزي المتقين الجنة..

يجزي الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..

يؤتي المؤمنين أجراً عظيماً .. عنده ثواب الدنيا والآخرة.. عنده أجر عظيم..

لا يضيع أعمال المؤمنين.. لا يضيع أجر المحسنين ..

لا يضيع أجر المؤمنين.. فضَّل المجاهدين على القاعدين..

إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ..

وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ..

وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً..

وَمَنْ يَتَّقِ الله يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً..

وإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لكم..

إِنْ تُقْرِضُوا الله قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ..

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ.. تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ..

يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ..

خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً..

ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ..

نسأل الله الشكور..أن يتقبل منا أعمالنا على قِلَّتها..وعلى ما فيها من الشوائب..

وأن يجزل لنا المثوبة فضلاً منه ورحمة.. وليس مكافأة على الأعمال.. فقليل أعمالنا لا يبلغ عظيم ثوابه..

ونسأله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين لنعمه بقلوبنا وألسنتنا وأعمالنا..

وعلينا أن نشكر للناس صالح أعمالهم.. ونحاول مكافأتهم قدر ما نستطيع..

فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله..

وأولى الناس بالشكر هم الوالدان.. ثم لا ننسى شكر الزوج والولد[13].. والزملاء.. والخدم.. وكل من يقدم إلينا معروفاً..

وأن نقبل من الناس ما يستطيعون تقديمه لنا وإن لم يكن كافياً.. ونشكرهم عليه.. حتى يتقبل الله القليل من أعمالنا ويشكرنا عليها.

[13] الزوج والولد: تطلق على الذكر والأنثى سواء

الكريم

سبحانه يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء.. من أكرم منه؟! وهو الذي يغدق العطاء للمؤمن والكافر.. للطائع والعاصي.. هو أهل العطاء وأهل الكرم.. يفتح أبواب فضله لمن يشاء من عباده..

وهو أيضاً يجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

المنَّان (كثير الإحسان وصاحب المنة والفضل في كل شيء)..

الأكرم..

الوهاب..

المحسن..

الجوَّاد (كثير الجود والعطاء)..

الحيي (يستحيي أن يرد سؤال عبده).

ذو الفضل العظيم..

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..

سخر لكم ما في السموات وما في الأرض.. وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..

ذو فضل على المؤمنين.. ذو فضل على الناس..

ذو فضل على العالمين.. بيده الفضل يؤتيه من يشاء .. يعدكم مغفرة منه وفضلاً..

منَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم..

عنده مغانم كثيرة.. يُغني من يشاء من فضله.. يُغني المتفَرِّقَيْن بالمعروف من سعته..

أعد لعباده المؤمنين ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر..

اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ..

يرفع درجاتٍ من يشاء.. يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ.

نسأل الله بمَنِّهِ وكرمه أن يكرمنا في الدنيا والآخرة..

وأن يعاملنا بكرمه لا بما نستحق..

وأن يغنينا به عن سؤال خلقه..

وأن يتفضل علينا بواسع فضله..

ولنتقرب إلى الله الكريم بأن نكون كراماً قدر ما نستطيع..

وأن نعطي الكثير دون أن ننتظر المقابل..

﴿ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلحون﴾

الهادي

والهداية نوعان: هداية دلالة وهداية معونة

فهداية الدلالة هي الإرشاد إلى طريق الحق بالحجة والبرهان.. وبالحكمة والموعظة الحسنة.. وهي وظيفة المرسلين ومن تبعهم بإحسان.. فهي الدعوة إلى الله.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ومنها قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

أما هداية المعونة فهي فتح القلوب للحق.. وشرح الصدور للخير.. وتنوير البصيرة وتطهير السريرة.. وهذا فضل الله تعالى يتفضل به على من يشاء من عباده.. ومنها قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

وهو يجمع في معناه ما يلي من الأسماء والصفات فتأملها:

النور..

المبين..

نور السموات والأرض..

نزَّل أحسن الحديث..

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ..

بعث النبيين مبشرين ومنذرين ..

يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ..

جعل لكل أمة منسكاً..

يهدي من يريد.. يهدي الله لنوره من يشاء ..

يهدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم .. يهدي للحق..

يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ.. يهدي السبيل.. يزيد الذين اهتدوا هدى..

يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم..

هُدى الله هو الهُدى .. مَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَدِي..

واتقوا الله ويُعلِّمكم الله ..

يبين آياته للناس لعلهم يتقون.. يبين لكم الآيات.. يريكم آياته .. يُحكم آياته..

يريد الله لِيُبَيِّنَ لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم.. يعظكم لعلكم تذكرون..

يحبِّب الإيمان إلى قلوب المؤمنين ويُكَرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ..

يُفتي المسلمين فيما أهمهم من أمور دينهم..

يضرب الأمثال.. ينسخ ما يُلقي الشيطان..

يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ..

يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه..

هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..

عليه قصد السبيل .. يميز الخبيث من الطيب..

أذن أن تُرفع بيوته ويذكر فيها اسمه..

نسأل الله الهادي أن يهدينا إلى كل ما يحب ويرضى..

وأن يصرف عنا سبل الضلال..

وأن يعصمنا من غواية الشيطان وأعوانه.. ومن هوى النفس الأمارة بالسوء..

وأن يجعلنا هداة مهتدين.. غير ضالين ولا مضلين..

ولنتقرب إلى الله الهادي بأن نكون مصابيح هداية.. ندعو إلى الخير.. وننهى عن السوء..

نرشد إلى طريق الحق.. ونحذر من طريق الباطل.

الودود

يحب عباده الصالحين ويحببهم إليه..ويؤلف بين قلوبهم..

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الجميل..

يحب المحسنين.. يحب المتقين.. يحب المتوكلين..

يحب التوابين.. يحب المتطهرين.. يحب المطَّهِرين..

يحب من اتبع رسوله ﷺ..

يحب الصابرين.. يحب المقسطين..

يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه..

يحب أن يتقرب إليه بالفرائض..

يحب من يكثر من النوافل..

يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ..

يؤلف بين قلوب المؤمنين .. يوفق في الصلح بين المتخاصمين..

جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها.. وجعل بينكم مودة ورحمة..

يُظِل المتحابين فيه بظله يوم لا ظل إلا ظله..

يحشر المتقين إليه وفداً..

تطمئن القلوب بذكره..

سَيَجْعَلُ الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً..

يصلي على النبي ﷺ..

يصلي علينا هو وملائكته ليخرجنا من الظلمات إلى النور ..

كلم موسى تكليماً.. اتخذ إبراهيم خليلاً..

أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. وعرج به إلى سدرة المنتهى..

نسأل الله الودود أن يرزقنا حبه.. وحب من ينفعنا حبه عنده..

وأن يملأ قلوبنا بمحبته.. ومحبة رسوله.. وأصحابه وآل بيته.. وجميع عباده الصالحين..

وأن يجعل حبنا لمن أحببناهم خالصاً لوجهه.. لا لمصلحة دنيوية..

وأن يجعلنا من المتحابين في جلاله.. الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله..

على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء..

وأن يؤلف بين قلوب المسلمين.. ويوحد صفَّهم.. ويجمع على الحق كلمتهم.

وعلينا أن نشيع جو الحب والتآلف بيننا.. في بيوتنا.. ومع زملائنا.. وإخواننا..

وأن نسعى في الصلح بين المتخاصمين.. سواء أكانوا أفراداً أم جماعات أم دول كل بحسب استطاعته..

ولا سيما الإصلاح بين الزوجين.. وبين الإخوة والأرحام.

الصمد

الذي يُلجَأ إليه في الحوائج ويستعان به على الملمات..

ومن معانيه: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد.

ويجمع في معناه كذلك الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الوكيل..

المستعان..

كفى به وكيلاً .. يكفي عبده..

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ..

بيده الخير .. يعيذ من استعاذ به.

وقد ارتبط توحيد الله تعالى بالتوكل عليه والالتجاء إليه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وارتبطت عبادة الله تعالى بالاستعانة

به: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولذلك يعتبر التوكل نصف الدين الثاني بعد نصفه الأول (العبادة) وهو موضوع بالغ الأهمية أفردت له مؤلفاً خاصاً بعنوان "نصف الدين إياك نستعين" فارجع إليه.

نسأل الله الصمد.. أن يرزقنا حسن التوكل عليه.. وتفويض الأمور إليه..

وألا يكلنا إلى أنفسنا.. ولا إلى أحد من خلقه..

وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته..

وأن يعيننا على حسن الأخذ بالأسباب طاعة لأمره بالسعي والعمل..

وعلينا أن نستعين بالله في كل أمورنا.. صغيرها وكبيرها..

فالتوكل على الله من أعظم أبواب التقرب إليه..

فإذا توكلنا عليه حق التوكل..

فُزنا في الدنيا بقضاء حوائجنا..

وفزنا في الآخرة برضوانه وحسن ثوابه..

وفزنا بما هو أعظم من ذلك وهو محبته ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾

القريب المجيب

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ويجمع في معناه الصفات والأفعال التالية فتأملها:

سميع الدعاء .. يحب الإلحاح في الدعاء..

مع الصابرين.. مع المؤمنين.. مع المحسنين..

نسأل الله القريب المجيب أن يتقبل دعاءنا.. ولا يرده علينا بذنوبنا..

وأن يطهر أموالنا من الحرام حتى لا تكون سبباً في حجب دعواتنا..

وأن يلهم قلوبنا وألسنتنا من الدعاء ما يحب.

وعلينا أن نكثر من الدعاء..

دعاء الذلة والانكسار.. لا دعاء الفصاحة والانطلاق..

فالله لا يرد دعوة من دعاه بصدق وإخلاص..

فإن لم يجبها له عاجلاً ربما أخرها إلى حين تكون إجابتها خيراً لمن دعا..

وربما دفع عنه من السوء بمثلها..

وربما أخرها له إلى يوم يكون فيه أحوج إليها..

يوم لا ينفع مال ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم.

رابعاً: صفات وأفعال العظمة والجلال:

المَلِك

الْمُلك هو السيادة والقهر والغلبة .. والتفرد بالحكم والأمر والنهي..

فهو تعالى يملك كل شيء.. وكل أحد.. ويملك الملوك.. ويملك الملك..

فهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء..

وهو ملك الملوك لا يخرجون عن ملكه وحكمه..

و هذا الاسم العظيم هو أصل أسماء العظمة والجلال.. فالملك ليكون ملكاً يجب أن يتصف بجميع صفات الجلال والعظمة والهيبة والقهر والسلطان.. وما اجتمعت هذه بحق إلا لله الواحد القهار.

وهو يجمع في معناه كذلك الأسماء والصفات التالية فتأملها:

مالك الملك..

المليك ..

السيد..

الديان..

مالك يوم الدين..

ذو العرش ..

استوى على العرش..

بيده ملكوت كل شيء..

ملك الناس .. الملك الحق..

يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء..

له ملك السموات والأرض.. له الأرض يورثها من يشاء من عباده..

يملك السمع والأبصار ..

كُلَّ يوم هو في شأن..

لا ملجأ منه إلا إليه..

نسأل الله الملك ألا يُمَلِّك أمرنا ظالماً ولا فاجراً..

وأن يُمَلِّك أمر المسلمين خيارهم..

وعلى كل من ملَّكه الله أمراً من أمور المسلمين أن يتقي الله فيهم..

وأن يعدل بينهم.. ويحسن إليهم..ويرفق بهم..

وأن يخشى أن ينزع الله منه ما ملَّكه..

وأن يعلم أن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء..

وأن يتذكر وقوفه بين يدي الملك يوم القيامة..

يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً.. والأمر يومئذ لله.

الواحد الأحد

"لا إله إلا الله".. من أجلها خلق الله الخلائق..وأنزل الشرائع..

وأرسل المرسلين..

ومن أجلها يدخل المؤمنون الجنة.. ويدخل الكافرون النار..

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الوِتر (الفرد الذي لا زوج له)..

الإله (المعبود المطاع).. إله الناس..

ليس كمثله شيء ..

لا شريك له.. لم تكن له صاحبة..

لم يلد ولم يولد.. لم يكن له كفواً أحد (ليس له شبيه ولا نظير).

له أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً..

تعالى عما يشركون.. بريء من المشركين..

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ.

مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ..

شهد الله أنه لا إله إلا هو.

فنسأل الله الواحد الأحد أن يعصم قلوبنا من الشرك صغيره وكبيره..

وأن يرزقنا صدق التوجه إليه وحده.. وحسن التوكل عليه وحده..

وأن يقذف الإخلاص في قلوبنا حتى لا نرى غيره في أعمالنا..

وأن يجعل جميع عملنا صالحا.. ولوجهه خالصاً .. ولا يجعل لأحد سواه فيه شيئا.

العلي

قد علا وسما فوق كل شيء..مستوٍ على عرشه.. نواصي العباد بيده.. ماض في الخلق حكمه.. عدل فيهم قضاؤه..ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

المتعال..

الأعلى..

رفيع الدرجات..

ذو المعارج ..

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ.

فنسأل الله العلي أن يرفعنا بِذُلِّ السجود بين يديه.. وبتواضعنا بين خلقه..

فهو العلي.. وكل من دونه دون..

فلا ينبغي لأحد منهم أن يتعالى على أحد.. فكلنا لآدم وأدم من تراب.

العظيم

إي وربي.. فالذي يخلق كوناً عظيماً واسعاً .. ما رأيناه منه في السماء الدنيا فقط قطره 14 بليون سنة ضوئية أي ما يعادل (132.5 ألف مليون مليون مليون كيلومتر) .. والذي وسع كرسيه كل هذا.. والكرسي في العرش كحلقة في فلاة.. والذي استوى على هذا العرش.. لهو بحق إله عظيم.. لا يمكن لعقل أن يتصور عظمته على حقيقتها.. فسبحانك قد حارت في عظمتك العقول.. وتاهت في ملكك الواسع الأحلام والنهى.

ويجمع هذا الاسم العظيم في معناه كذلك ما يلي من الأسماء والصفات فتأملها:

العزيز..

المجيد..

ذو الجلال والإكرام ..

أهل التقوى..

وما قدروا الله حق قدره..

لا تدركه الأبصار ..

لا يَغُرَّنَّكم بالله الغَرُور..

..أحق أن تخشاه .. أحق أن تخشوه.. يخشاه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..

أحق أن ترضوه .. وكان عهد الله مسئولاً..

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ.. وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ..

ولله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ..

وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ الله فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ..

وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ..

نسأل الله العظيم.. رب العرش العظيم.. أن يورث قلوبنا تعظيمه بما يليق بقدره..

ونسأله أن يُعَظم في قلوبنا شعائره وحرماته..

وأن يَقسِم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معصيته..

وأن ينزع من قلوبنا كل خشية ممن سواه.. فلا عظيم غيره يستحق أن يُخشَى.

الحكم

ومن حكم في ملكه فما ظلم.. ومن رفض حكم الملك لا يحق له أن يعيش في ملكه.. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.. راجع ما تقدم في تأملات ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً﴾

ويجمع في معناه الصفات والأفعال التالية فتأملها:

خير الفاصلين.. خير الحاكمين ..

أحكم الحاكمين .. أحسن الحاكمين..

له الأمر.. له الحكم .. إنِ الحُكمُ إلا لله..

يحكم ما يريد.. يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ..

يحكم بين الناس يوم القيامة .. يفصل بين الناس يوم القيامة..

يقضي بالحق .. سريع الحساب ..

يُنطق الأعضاء لتشهد على صاحبها يوم القيامة ..

يسأل الذين أُرسِل إليهم ويسأل المرسلين..

نسأل الله الحَكَم أن يُحَكِّم فينا شريعته.. وأن يرزق المسلمين من يحكم فيهم بالعدل..

وأن يحكم بيننا وبين أعدائنا في الدنيا والآخرة.. وأن ييسر يوم القيامة حسابنا.

ويجب علينا أن نستسلم لحكم الله تعالى.. لا نناقشه.. ولا نرده.. بل لا نتردد في الانصياع إليه.. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الغني

لا يحتاج إلى أحد.. وإليه يحتاج كل أحد..

ويجمع في معناه الصفات والأفعال التالية فتأملها:

غني عن العالمين..

ما عند الله خير..

مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ..

يغني المتعففين من فضله..

لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ..

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ .. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ.

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ .. وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ.

نسأل الله الغني أن يغنينا بفضله عمن سواه..

وأن يرزقنا عز الاستغناء عن الناس..

وأن يعين الأغنياء منا على شكر نعمته بِذُلِّ الافتقار إليه..

والإحسان إلى خلقه..

ونعوذ به من غرور الاستغناء عنه.. فهو الغني وحده.. وكل من عداه فقير.

الظاهر

الذي ليس فوقه شيء.. والعالي فوق كل شيء.. الظاهر بالقدرة على كل شيء.. الغالب الذي لا يغلبه شيء.. الظاهر وجوده لكل ذي عقل .. فلا يخفى وجوده وقدرته وعظمته على متأمل ذي بصر وبصيرة.

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

المهيمن..

المقتدر..

القوي ..

المتين ..

المقدم..

المؤخر..

ذو الطول..

شديد المحال..

ذو القوة..

لا حول ولا قوة إلا بالله..

لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض..

غالب على أمره .. بَالِغُ أَمْرِهِ.. أمره ظاهر..

على كل شيء مقتدر .. كلمته هي العليا..

يُتِمُّ نوره ولو كره الكافرون.. يُحِقُّ الحق بكلماته..

لا عاصم منه .. لا عاصم من أمره إلا من رحم..

ينصر من ينصره.. يؤيد بنصره من يشاء ..

ما لكم من دونه من أولياء.. ما لكم من دونه من ولي ولا نصير..

خير الماكرين .. له المكر جميعاً.. أسرع مكراً .. لا أمن من مكره..

الذين يفترون عليه الكذب لا يفلحون..

لن تجد لسنته تبديلا.. لن تجد لسنته تحويلاً ..

يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ..

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ..

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ..

نسأل الله الظاهر أن يُظهِر دينه وأولياءه على أهل الكفر والظلم والبغي..

وأن يرزقنا حسن الالتجاء إليه..والاحتماء بركنه..

وأن يجعلنا من أوليائه الذين يؤيدهم بنصره..

وأن يحفظ المسجد الأقصى ومقدسات المسلمين من كيد أعدائه..

وأن يُظهِر لنا ضَعف من نخافهم من خلقه حتى لا نخاف أحداً سواه..

وأن ينصرنا على شهوات أنفسنا.. وعلى وساوس الشياطين من الجن والإنس..

إنه على ما يشاء قدير.

القهار

لا مخلوق إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته.. عاجز في قبضته..

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

القاهر ..

الجبار..

المنتقم..

ذو انتقام ..

ويحذركم الله نفسه..

شديد العقاب .. سريع العقاب.. ذو عقاب أليم..

شديد العذاب.. يعذب من يشاء.. يعذب الكافرين في الدنيا بأيدي المؤمنين ..

وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ..

يعذب المنافقين بأموالهم وأولادهم في الدنيا..

أعد للكافرين عذاباً مهيناً.. أشد بأساً وأشد تنكيلاً ..

يغضب على من يقتل مؤمناً متعمداً بغير حق ..

يغضب على من يفر من الزحف ..

يغضب على الكافرين والمنافقين..

يسخط على الذين يتولون الكافرين..

يحول بين المرء وقلبه..

يختم على قلوب الكافرين..يطبع على قلوب المعتدين ..

طبع على قلوب المنافقين..طبع على قلوب الكافرين من بني إسرائيل ..

يصرف قلوب المنافقين عنه .. يخدع المنافقين..

لعن الكافرين والمنافقين.. لعن الشيطان ..

يلعن الذين يكتمون ما أنزل من البينات والهدى..

يلعن الذين يؤذونه ويؤذون رسوله..

يُري الكافرين أعمالهم حسرات عليهم..

جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً..

لا يهدي القوم الظالمين.. لا يهدي القوم الكافرين..

لا يهدي القوم الفاسقين .. لا يهدي من يُضِل..

لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ.. لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ..

لا يهدي من هو كاذب كفار.. إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله لا يَهْدِيهِمْ الله..

من يضلل الله فلا هادي له.. يضل الظالمين.. فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ الله قُلُوبَهُمْ..

لو يشاء لهدى الناس جميعاً.. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ..

يمحق الربا .. يمحق الكافرين..

موهن كيد الكافرين.. لا يُصلح عمل المفسدين..

حرَّم الجنة على المشركين.. حرَّم الماء البارد والرزق الحسن على أهل النار..

يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون.. يجعل الرجس على الذين لا يعقلون..

يُوَلِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون .. مُخرِجٌ ما يحذر المنافقون..

يحارب أهل الربا .. يقاتل من نسب إليه الولد..

أخذه للظالمين أليم شديد.. أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى..

يدمر على الكافرين..

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ.. وما لهم من الله من واق..

يذيق من يكفر بنعمه لباس الجوع والخوف.. يُخَوِّف عباده من عذابه حتى يتقوه..

يحبط أعمال الكافرين والمنافقين.. يقذف الرعب في قلوب أعدائه..

وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.. يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ..

ينبئ الكافرين يوم القيامة بما كانوا يصنعون..

وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ.. إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ.

نسأل الله القهار أن يقهر أعداء المسلمين..

وأن يُمَكِّن المسلمين من رقاب المجرمين..

وأن ينتقم لدماء المسلمين وأعراضهم ممن استحلوها وانتهكوها..

وأن يثأر لليتامى والأرامل والمستضعفين..

وأن يرينا في أعدائه يوماً تُشفى فيه صدور المؤمنين..

ونعوذ به من غلبة الدَّيْن وقهر الرجال.

المتكبر

والكبر مذموم إلا في حقه سبحانه.. فهو الكبير الأكبر.. الجبار المتكبر..

ويجمع في معناه الأسماء والصفات التالية فتأملها:

الكبير ..

الله أكبر..

لا يحب الظالمين.. لا يحب المفسدين .. لا يحب المعتدين..

لا يحب المسرفين.. لا يحب الخائنين.. لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (المتكبرين)

..

لا يحب الفساد .. لا يحب كل كفار أثيم .. لا يحب كل خوان كفور ..

لا يحب من كان خواناً أثيماً .. لا يحب من كان مختالاً فخوراً ..

يمقت الكافرين .. يكره انبعاث المنافقين إلى القتال..

ينسى من نسوه ويُنسيهم أنفسهم..

يسخر ممن يسخرون من المؤمنين .. يستهزئ بالمنافقين..

لا يغفر أن يُشرَك به .. لن يغفر لمن مات على الكفر أو النفاق..

لا يرضى عن القوم الفاسقين.. يذر الذين لا يرجون لقاءه في طغيانهم يعمهون ..

من يُهِن فما له من مُكرم.. يُذِل من يشاء ..

مُخزي الكافرين .. يذيق المكذبين الخزي..

يغار أن تؤتى محارمه.. يُحب أن يُمْدَح..

لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

نسأل الله المتكبر أن يرزقنا حسن التواضع لكبريائه.. وأن يرزقنا تقديره حق قدره..

وأن يجنبنا الوقوع في محارمه.. وأن يعيننا على مدحه بما هو أهله..وأن يمحو من قلوبنا كل ذَرَّة من كِبْر..

وأن يجعلنا من الذين قال فيهم:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وفي ختام هذا الفصل أحصي لكم ما ورد من أسماء الله الحسنى في القرآن والسنة وقد وجدتها تسعة وتسعين.. ولعلها تكون المقصودة في حديث رسول الله ﷺ: "إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً،مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة".

وهذا الإحصاء اجتهادي، ولعلك تجد من يخالف في بعض الأسماء فيضيف أو يحذف بحسب ما يطبقه من الشروط في اعتبار الاسم اسماً أم لا.. ولم أرد أن أدخل في هذا الخلاف وهذه الشروط لأن الهدف من الكتاب معرفة الله تعالى بصفاته وأفعاله سواء منها ما كان اسماً أم لم يكن، ولكني رأيت من الحسن أن أحصي لكم مما أوردنا من الأسماء الواردة بنصها في القرآن الكريم والسنة المطهرة لعلها تكون هي المقصودة في الحديث.. مع العلم بأن هذه الأسماء ليست هي كل أسمائه تعالى.. فإن لله تعالى أسماء لا يعلمها إلا هو سبحانه كما أوردنا سابقاً.. والله تعالى أعلى وأعلم.

الله

1. الرب
2. الرحمن
3. الحميد
4. الحي
5. القيوم
6. المحيط
7. السميع
8. البصير
9. العليم
10. الرقيب
11. الخبير
12. الباطن
13. الحسيب
14. الشهيد
15. الواسع
16. القدير
17. الحكيم
18. الأول
19. الآخر
20. السبوح
21. القدوس
22. الطيب
23. الصادق
24. الحق
25. الخلاق
26. الخالق
27. البارئ
28. المصور
29. الرزاق
30. الرازق
31. الفتاح
32. المقيت
33. المعطي
34. الرحيم
35. الرؤوف
36. العفو
37. البر
38. السلام
39. المؤمن
40. التواب
41. الغفور
42. الغفار
43. الحليم
44. اللطيف
45. الشافي
46. الرفيق
47. الحفيظ
48. الستير
49. الولي
50. المولى
51. النصير
52. الشكور
53. الشاكر
54. الكريم
55. المنان
56. الأكرم
57. الوهاب
58. المحسن
59. الجواد
60. الحيي
61. النور
62. المبين
63. الودود
64. الجميل
65. الصمد
66. الوكيل
67. المستعان
68. القريب
69. المجيب
70. الملك
71. مالك الملك
72. المليك
73. السيد
74. الديان
75. الواحد
76. الأحد
77. الوتر
78. الإله
79. العلي
80. المتعال
81. الأعلى
82. العظيم
83. العزيز
84. المجيد
85. الحكم
86. الغني
87. الظاهر
88. المهيمن
89. المقتدر
90. القوي
91. المتين
92. المقدم
93. المؤخر
94. القهار
95. القاهر
96. الجبار
97. المنتقم
98. المتكبر
99. الكبير

عرفت فالزم

العلم يهتف بالعمل.. فإن أجابه وإلا ارتحل..

فالمعرفة مطلوبة.. ولكن العمل بمقتضى هذه المعرفة هو المقصود الأكبر.

فكيف نتعامل مع الله تعالى بمقتضى ما عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله؟

هذه بعض النفحات في هذا الباب مما فتح الله به على عبده الفقير.. ويفتح الله عليك بخير منها -إن شاء- بالتأمل فيما عرفت من صفاته.

دوام الحمد

كثيراً ما استوقفني قول رسول الله ﷺ: "والحمد لله تملأ الميزان" .. يا الله! الميزان الذي يسع أعمال الخلائق من لدن آدم إلى قيام الساعة.. تملؤه كلمة واحدة!.. الميزان الذي تملؤه الخطايا والذنوب تأتي كلمة واحدة لتزاحم تلك الخطايا والذنوب فتلقي بها إلى خارج الميزان لتستقر هي وحدها فيه وتملؤه!

ولا أحسب هذا الفضل لمجرد كلمة تقال باللسان.. بل هي حالة تتلبس بها الروح والنفس والقلب والجوارح.. تستحضر فيها صفات كمال الله تعالى وتعيش معها وبها.. فتخرج الكلمة من سويداء القلب إلى عنان السماء.. فتملأ الميزان يوم القيامة.. وفي الدنيا تملأ ما بين السماء والأرض.

دوام الامتنان

والامتنان هو استحضار واستشعار منة الله تعالى عليك.. فكل خير يصيبك تعرف أنه من الله .. وكل شر يُصرَف عنك تعرف أنما صرفه الله.. فلله تعالى المنة في الأمور كلها.. في الدين والدنيا.. فالهداية إلى الله منة.. والثبات على طريقه منة.. والعون على طاعته منة.. والانصراف عن معصيته منة.. والصبر على بلائه منة.. والشكر على عطائه منة..وتوفيقك إلى الدعاء منة.. وقبوله منك منة.. وأرزاق الأبدان منة.. وغذاء الأرواح منة..وإصلاح القلوب منة.. وإصلاح الذرية منة..وكل خير يأتيك من الله منة..حتى استشعارك لهذه المنن منة.. فالمنة له أولا والمنة له آخراً.

فاللهم كما مننت علينا بمعرفتك مُنَّ علينا برضوانك.. وكما مننت علينا بالطاعات مُنَّ علينا بالقبول.. وكما مننت علينا بالدعاء مُنَّ علينا بالإجابة.. وكما مننت علينا بالهداية مُنَّ علينا بالثبات.. يا حنان يا منان .. ياقديم الإحسان.. يا ذا الجلال والإكرام.

دوام الشكر

والشكر هو الترجمة العملية للامتنان.. فإذا عرفت مِنَّتَه واستحضرت نعمته كان لزاماً عليك أن تشكره.. فيبوء قلبك له بنعمته .. ويحدث لسانك بجميل عطائه.. وتعمل جوارحك فيما يرضيه.. فتستخدم نعمه فيما يحب .. ومِن شُكره أن تذكر الفضل لأهله من الناس.. فمن صنع لك معروفاً تكافؤه به ما استطعت.. فقد جعل الله الإحسان بين الناس ليذكروا به صاحب الإحسان الأكبر والمنة الأسمى.. ولذلك من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

دوام الذكر

وهو خير أعمال العباد قاطبة..وأعلاها في الدرجات.. وأزكاها عند الله.. فهو حالة يتلبس بها القلب واللسان والجوارح.. يكون الله

فيها مع العبد في حركاته وسكناته.. في ليله ونهاره.. في يقظته وفي منامه.. قلبه ذاكر.. ولسانه ذاكر.. فلا يكاد كلامه يخلو من اسم الله.. فإذا قام من نومه قال "الحمد لله" وإذا توضأ قال "بسم الله" وإذا صلى فهو في حضرة الله.. فإذا قضى صلاته انطلق يسعى في سبيل الله.. يبتغي من فضل الله.. فإذا عرضت له فتنة قال "أعوذ بالله".. وإذا غفل أو زل قال "أستغفر الله".. وإن أصابه بلاء قال "إنا لله".. وإذا أصابه خير قال" المنة لله".. فهو بالله ومع الله وفي الله.

دوام التسبيح

تسبيح القلب واللسان.. تنزيهه سبحانه عن كل ما يخالف الكمال.. وتنزيهه عن الشبيه أو النظير في تلك الصفات.. فهو من لوازم معرفته سبحانه بصفات كماله.. فسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض .. وحق لهما ذلك إذا خرجتا من سويداء القلب استحضاراً لتفرده سبحانه بصفات الكمال.

دوام التكبير

فالله أكبر من هوى النفس وشهواتها.. والله أكبر من متاع الدنيا ولذاتها.. والله أكبر من شواغل الدنيا ومُلهياتها.. والله أكبر من همومك.. والله أكبر من عدوك.. والله أكبر تستعلي بها على كل من يحاربون دينك.. وكيف لا تستعلي بإيمانك وربك الكبير الأكبر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء!

دوام الدعاء

للثناء وطلب العطاء.. فمن عرف الحميد بصفات كماله والرحيم بصفات جماله وعرف الملك بصفات عزته وكبريائه.. لم يزل يثني عليه بهذه الصفات ويتقرب إليه بذكرها.. وذلك دعاء الثناء.

ومن عرف الكريم بجزيل عطائه .. وعرف القدير بطلاقة قدرته.. وعرف الملك بتفرده في ملكه سبحانه لا يُسأل عما يفعل..لم تعرض له حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة إلا سأله إياها.. وذلك دعاء المسألة..

ولا تستصغر حاجتك.. فقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يسألوا الله كل حوائجهم حتى شسع نعلهم إذا انقطع.. فمن كمال المعرفة أن تعلم أنه تعالى يملك الصغير والكبير.. فلا يأتيك الكبير إلا بإذنه.. ولا يأتيك الصغير إلا بإذنه.. فأكثر وألح فهو يحب عبده اللحوح.

دوام الاستغفار

فإن كنت مذنباً تستغفر لذنبك.. وإن كنت مطيعاً تستغفر للتقصير في إتمام طاعتك.. وهو سنة حبيبكﷺ الذي كان يستغفر في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة .. وهو جلاء للقلب.. ومرضاة للرب.. ويكون باللسان ذكراً.. وبالقلب ندماً.

دوام التوبة

وهي قرينة الإيمان..مدعاة الفلاح.. لا يتركها إلا ظالم.. ولا يلازمها إلا عابد.. من داوم عليها كتب عند الله أواباً منيباً.. هي العودة إلى الطريق لمن ضل.. وهي الثبات عليه لمن اهتدى.. يسبقها ندم.. ويتبعها إصلاح..

الانكسار بين يديه

وهو العبادة المنسية.. والباب الواسع الذي لا يزدحم عليه العابدون.. وكما قيل بلسان الحال عندما عصى آدم ربه ثم تاب إليه وانكسر: "يا آدم قد كنت تدخل علينا دخول الملوك على الملوك.. والآن تدخل علينا دخول العبيد على الملوك .. وذلك أحب إلينا".. فمن عرف عظمة الله وقوته.. وعرف صغر نفسه وضعفها.. انكسر بين يديه.. فإن عمل صالحاً خشي ألايقبل منه.. ولا يمن على الله بعمله بل يعلم أن المنة له.. وإن زل في الشهوات عاد تائباً منكسراً بين يديه يرجو رحمته ويخشى عذابه.. فهو في كلا الحالين منكسر قلبه بين يدي ربه.. وهذا وربي لو تعملون عظيم.

صفاء الإخلاص

فهو سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك.. وخير لك أن لا تقوم بالعمل من أن تعمل العمل وتقصد به أحداً سواه.. معه أو من

دونه.. فصفاء النية يشبه صفاء اللبن.. إن كان خالصاً كان سائغاً للشاربين.. وإن أصابه أقل الكدر أو شابته شائبة لم يعد صالحاً.. كذلك النية إن شابتها الشوائب لم تنفع صاحبها ولم تُقبل عند ربها.. وكلما عظم شأن الله في قلب العبد كلما خلصت النية في مرضاته..وكبر على النفس إشراك غيره معه أو من دونه.. والعكس بالعكس.. فاللهم اقذف الإخلاص في قلوبنا حتى لا نرى غيرك في أعمالنا.

حسن التوكل

سأل رجل صاحبه ماذا فعلت في قضيتك؟ فقال بثقة وطمأنينة: اعتبرها مقضية على أفضل وجه فقد وكلت فيها أفضل محامٍ في البلاد..

فإذا كان هذا حال من وَكَّل بشراً لمجرد أن هذا البشر كفء في عمله ومحل ثقة من موكله.. فكيف بمن يوكل في أمره نعم الوكيل.. الحي القيوم.. الذي بيده مقاليد السموات والأرض.. يقول للشيء كن فيكون..ولا يضيع من توكل عليه.. بل يكفيه

أمره على أحسن ما يكون.. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

والتوكل هو الجمع بين عبادتين: عبادة القلب بتفويض الأمر لله والثقة في قدرته عليه وحكمته فيما قضى وقدر.. وعبادة الجوارح وهي السعي وبذل الأسباب.. ولا يستقيم التوكل إلا باجتماع عمل القلب وعمل الجوارح.. مع اليقين بأن عمل الجوارح لا يغني في النتيجة شيئاً.. وإنما النتيجة تأتي تبعاً لتقدير الله عز وجل ووفقاً لحكمته.. فلربما سعيت في أمر بجوارحك ووكلته إلى الله تعالى بقلبك.. ثم لم يتم على النحو الذي تريد.. فاعلم عندئذ أن الله تعالى أراد بك خيراً لا تعلمه.. ولذلك كان من تمام التوكل الرضا بقضاء الله في الأمر ولو جاء على غير ما أردت.. فهذه حقيقة تفويض الأمور إلى الله والتوكل عليه.. وفي الاستخارة تطبيقاً عملياً للتوكل لا يغفل عنها إلا غافل.[14]

14 للمزيد عن التوكل والاستخارة راجع كتاب "نصف الدين إياك نستعين" للمؤلف

تقديم ما يحب على ما تحب

فإذا كنت تحب النوم وهو يحب أن تقوم إلى الصلاة فقم إلى الصلاة ودع النوم..

وإذا كنت تحب أن تطلق العنان لشهواتك وهو يحب أن تكبح جماحها إلا فيما أحل لك فاكبح جماحها من أجله..

وإذا أغراك الشيطان للتقصير فيما افترضه عليك فاستعذ بالله من الشيطان والتزم بما افترضه عليك فأحب القربات إليه ما افترضه عليك..

وإذا دفعك الكسل إلى ترك النوافل فادفع عنك الكسل وأكثر من النوافل..

فإذا قدمت محابَّه على محابِّك أحبك.. وعوضك خيراً مما تركت من أجله..

وكان سمعَك الذي تسمع به وبصرَك الذي تبصر به..

وإذا سألته أعطاك وإذا استعذته أعاذك.

إحسان الظن به

فإذا نظرت إلى جميل صنعه بك فيما مضى.. علمت جميل صنعه بك فيما هو آت.. وإذا كنت من أهل البلاء وعرفت مِن ربك ما عرفت من الصفات.. علمت أنه لم يدعك في بلائك عجزاً منه سبحانه عن رفع البلاء عنك.. ولا إرادة سوء بك وأنت من الصالحين.. وإنما ابتلاك ليسمع صوت مناجاتك وأنينك بين يديه.. فيقربك إليه ويرفع درجاتك بما لا يبلغه عملك.. ومن إحسان الظن به إحسان العمل فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

الرجاء في رحمته

وكيف لا نرجو رحمته وهو الرحيم الذي اجتمعت فيه كل صفات الجمال والرحمة.. ورحمته بك أن يعاملك بمقتضى جميع صفات جماله.. فيحفظك ويتولاك.. ويكرمك ويشكر لك.. ويهديك ويحبك.. ويقضي حوائجك ويجيب دعاءك.. وإياك واليأس من رحمته مهما بلغ بعدك عنه .. فمهما فعلت مما يغضبه

فيأسك من رحمته يغضبه أكثر.. فاليأس من رحمته دليل الجهل به.. وإنكار لصفات جماله سبحانه ولا يفعله إلا الجاهلون.

عدم الأمن من مكره

فلقد علمت أنه عزيز ذو انتقام.. كما يغفر الذنب فإنه يأخذ بالذنب.. وكما يرحم من يشاء فإنه يعذب من يشاء.. فلا تأمَنَنَّ مكره أن يؤاخذك بذنوبك وغفلاتك فيعاقبك بها في الدنيا أو الآخرة ..أو يرفع عنك عصمته فتهوي في طريق الذنوب والمعاصي.. أو يحجب عنك هداه فتضل الطريق إليه.. ولقد كان الصالحون يخشون المعصية بعد الطاعة.. وكان العارفون يخافون الكفر بعد الإيمان.. فكن من الذين ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

خشيته حق الخشية

والخشية هي الخوف مع التعظيم والمحبة.. وهي من ثمار معرفة الله تعالى بصفات جلاله.. فليس أحق منه أن تخشاه وهو الملك الذي بيده كل أمرك.. وهو الجبار المتكبر.. المنتقم الذي يأخذ

بالذنب ويعاقب عليه.. وهذه الخشية هي التي تصرف العبد عن معصية خالقه مهما كانت المغريات والدوافع.. وثمرة الخشية المغفرة على ما يقع من الذنوب والهفوات.. والأجر الكريم لما يفعله من الطاعات.

تقواه حق التقوى

التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله.. وأن تجتنب معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله..

وتقواه حق التقوى أن تبذُل الوسع في تحقيق محابه وجوالب رضوانه.. واجتناب مواطن بغضه وغضبه..

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ثم قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فظن البعض أن الثانية قد نسخت الأولى.. ولكني أحسب أن الثانية بيان للأولى.. فتقوى الله حق تقاته هي تقواه حد الاستطاعة .. فالعبد مطلوب منه أن يبذل أقصى ما يستطيع في اتباع أوامر الله تعالى واجتناب

نواهيه.. وأن يبذل غاية ما في وسعه.. فإذا فعل ذلك فقد اتقى الله حق تقاته.. ولا يؤاخذه الله بما لا يستطيع.

استحضار عظمته

فكثير من الغفلة والذنوب يقع عندما ينظر امرؤ إلى نفسه فيستشعر لها قدراً.. فيكون أول الباب إلى الغرور.. ويجره الغرور إلى العجب ثم إلى الكبر ثم إلى ما هو أعظم.. ويقطع ذلك كله استشعار عظمة الله عز وجل.. ويأتي هذا من استشعار عظمة خلق الله تعالى وعظمة ملكه.. فإذا نظرت إلى الحي الذي تسكن فيه ترى نفسك فيه واحداً من آلاف الناس..ثم إذا نظرت إلى البلد الذي تعيش فيه تجد نفسك واحداً من عشرات الملايين من الناس.. فإذا نظرت إلى الأرض كلها وجدت نفسك لا تساوي ذرة فيها.. فإذا اتسع نظرك إلى ما حول الأرض من شمس وكواكب رأيت الأرض نفسها ذرة في الشمس.. والشمس بما حولها من الكواكب ذرة في المجرة.. والمجرة ذرة في الكون الواسع الذي عرفناه حتى الآن بعلمنا القاصر.. وما خفي منه أعظم..ثم

تتأمل في عظمة كرسي الرحمن الذي يسع السموات والأرض فتجد أن الكون كله لا يساوي فيه شيئاً.. ثم تعلم أن الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة.. عندها تدرك مدى عظمة من استوى على ذلك العرش.. ومَلَكَ ذلك الملك كله.. فتتضاءل عندئذ نفسك ويذهب غرورها ويُسحَق كِبرُها وتعود إلى رشدها خاضعة خاشعة لخالقها ومالكها سبحانه.. وإن ذلك لأصل الخير كله لمن عرف.

استحضار معيته

أرأيت طفلاً يسير وحده في الطريق كيف يكون حاله من الخوف والجزع والترقب لأي حدث قد يلم به.. أفرأيت إذا كان معه أبوه!.أي طمأنينة وأي أنس يكون فيها!. فكيف إذا كان معك ربك العلي العظيم.. ذو الجلال والإكرام.. والملك والعزة والسلطان.. يكفيك أمرك.. وما أهمك.. ولا تحتاج بعده إلى أحد من خلقه.

ولكن لهذه المعية أهل حققوا شروطها ومتطلباتها.. فكانوا من الصابرين.. المتقين.. المؤمنين.. المحسنين.. المجاهدين في سبيله.. فاللهم كن معنا ولا تكن علينا.. وارزقنا من العمل ما يرضيك حتى نكون أهلاً لمعيتك.

استحضار مراقبته

حين تدخل إلى مكان مراقب بالكاميرات من كل زاوية.. هل من الممكن أن تسول لك نفسك أن ترتكب خطأ يعاقب عليه القانون؟ فلماذا تسول لنا أنفسنا أن نخالف أوامر الله تعالى ونقع تحت طائلة عقابه وهو الذي يرانا في كل مكان ويسمعنا في كل زمان؟.. بل ويعلم ما يختلج في قلوبنا من مشاعر ونوايا.. وأمراض وأحقاد.. ثم يأتي بكل ذلك يوم القيامة يُعرَض على الخلائق مسجلاً بالصوت والصورة وربما بالمشاعر والأحاسيس..﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾..

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

فاللهم لا تفضحنا بما عملنا..واجعلنا نعبدك كأنا نراك.. ونستشعر دائماً أنك ترانا فنستحيي أن نخالف أمرك وأنت مطلع على قلوبنا وجوارحنا .. بل تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

عدم استكثار نعمه أو استقلالها

فبعض الناس ينظر إلى نعم الله عليه فيستكثرها ويقول في نفسه أنه لا يستحق كل تلك النعم.. وما علم أنه لم يؤتها استحقاقاً وإنما كرماً من الكريم.. وربما أدى استكثاره لها أن يذهبها الله عنه.. والبعض ينظر إلى نعم الله عليه فيتقالها ويرى أنه

يستحق أكثر من ذلك.. وما علم أنه لم يحرم منها بخلاً وإنما لحكمة يعلمها الحكيم.. والحق أن ما أنعم الله به على أي إنسان يفوق قدرته على شكره.. قليلاً كان أم كثيراً.. ولكل امرئ حظه من النعيم ومن البلاء .. وما يعقل ذلك إلا العالمون.

التفكر في حكمته

واعلم أن عقلك لا يستطيع إدراك حكمة الحكيم في الأمور كلها.. ولكن لا بأس بتلمس الحكمة في بعض أحكامه في الدين وفي بعض أقداره في الحياة.. فهذا التأمل قد يفتح لك من أبواب حكمته ما يعينك به على طاعته وعلى الرضا بقضائه وقدره.

التأمل في بديع صنعه

لتدرك حقيقة صفة البديع.. الذي أحسن خلقه وأبدعه..فخلق ملايين الملايين من المخلوقات.. وجعل من كل مخلوق أنواعاً.. ومن كل نوع أشكالاً.. ومن شكل ألواناً..فتبارك الله أحسن الخالقين.

تذوُّق الجمال في مخلوقاته

فلن تدرك صفة جماله سبحانه حتى تتلمس الجمال في مخلوقاته.. فهذا ألوانه تخطف الأبصار.. وهذا شكله يحير الألباب.. وهذا صوته يطرب الآذان..وهذا ملمسه يذهل العقول.. وهذا رائحته تطيب القلوب.. فكيف بجمال الصانع لكل هذا الجمال.. فاللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم.

الشوق إلى لقائه

فمن أحب أحداً أحب لقاءه.. واشتاق إليه كلما ابتعد.. فاعمل ليوم تلقاه فيه وتعرض عليه أعمالك.. وليكن دخولك عليه دخول المسافر على أهله.. لا دخول العبد الهارب على سيده.

الحياء منه ومن خلقه

الحياء ثمرة اليقظة والخشية والمراقبة.. وهو خيرٌ كله كما قال الحبيب ﷺ.. الذي كان أشد حياء من العذراء في خدرها.. وحري بنا أن نقتدي به.. فنستحيي من الله أن يرانا حيث نهانا..

أو يفقدنا حيث أمرنا.. ونحن نعلم أنه ناظر إلينا سامع لحديثنا.. عليم بخفايا نفوسنا.. ونستحيي من الناس أن يرونا على حال يخرق المروءة.. من قول أو فعل.. ونستحيي من أولادنا أن يرونا على حال لا نحبهم أن يقتدوا بنا فيه.

طلب الرزق منه دون غيره

فإنما يُطلَب الشيء ممن يملكه ويقدر على إعطائه.. فاسأل الرزاق ولا تسأل المرزوق.. واسأل القادر ولا تسأل العاجز.. واسأل الكريم ولا تسأل من لو ملكوا خزائن رحمة ربك إذاً لأمسكوا خشية الإنفاق.

الكرم على خلقه

فالكرم صفة الله تعالى وصفة أنبيائه وأصفيائه.. ومَن أكرم الناس يوشك أن يصيبه كرم المنان.. وأولى الناس بكرمك والداك..ثم أهل بيتك.. ثم الأقرب فالأقرب..فلا تتركنَّ الأقربين وتكرم الأبعدين لكي يقال كريم.

الرحمة بعباده

فأقرب الطرق إلى استمطار رحمات الله هو أن ترحم خلق الله.. فالراحمون يرحمهم الرحمن..ومن لا يَرحم لا يُرحم.

الحكم بما شرع والاحتكام إليه وحده

وهو من أوجب واجبات معرفته.. فمن عرف أنه الحَكَم.. ومن عرف أنه الحكيم.. ومن قرأ قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ علم أنه ليس في سعة من أمره أن يتحاكم إلى غيره أو أن يحكم بغير شرعه.. وقد سبق التفصيل في ذلك فارجع إليه.

احفظ الله يحفظك

وتلك وربي وصية جامعة تكفي العباد إلى قيام الساعة.. فإنك إن حفظت الله في أوامره فلم تضيعها.. وفي نواهيه فلم تأتها.. وفي قلبك تحفظه من الهوى.. وفي جوارحك تحفظها من الزيغ..فإنه يحفظك في دينك ودنياك وأهلك وولدك حتى تلقاه وهو عنك راض.

اتخذه ولياً

ويا سعد من كان الله وليه.. ويا عز من كان الله مولاه.. فكم ترى من الناس من يمشي مزهواً متعالياً على الناس لمجرد أنه من رجال فلان أو من صفوة علان.. فكيف من كان وليه مالك الملك وملك الملوك.. وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

كن هادياً واطلب الهداية

فإن ضللت الطريق إليه فلا يهديك إلا هو.. فاسأله الهدى.. وتعرض لهدايته بصالح العمل.. وإذا رأيت ضالاً عن سبيله فدله على الطريق وأعنه على سلوكه والثبات عليه.. فذلك من أعظم الأسباب لنيل هدايته ومعونته على السير في سبيله.. بل يهديك إلى الصواب في كل أمرك وجميع شأنك.. ويجعل لك نوراً تمشي به في الناس.. ونوراً تسير به على الصراط إلى دار رضوانه.

اسأله حبه

فهو الودود سبحانه.. يحب من عباده من كان محسناً تقياً.. تواباً متطهراً.. متوكلاً عليه في كل شأنه.. فتعرض لمواطن محبته..

واتصف بما يحب من الصفات.. وتكلم بما يحب من الكلام.. واعمل بما يحب من العمل.. تنل محبته.

كن ودوداً

فإنه إذا أحبك حبب فيك خلقه..فاجتمعوا حولك واقتدوا بك في محبته والتقرب إليه.. ولا تكن فظاً غليظاً فينفضوا من حولك وينصرفوا عن طريقك.. وتألف قلوب الناس بالهدية .. فإن لم تجد فبكلمة طيبة ودعوة صادقة.

تفكر في عظيم ملكه

لتعلم أن الملوك مهما عظم ملكهم فهم وما يملكون ملك لملك الملوك ومالك الملك.. سبحانه هو وحده الملك وكل من عداه مملوك.

كن ملكاً في نفسك

بتمام العبودية له والاستغناء عن من سواه.. فمن بات آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

استعل بإيمانك

فربك هو العلي الأعلى.. ومن كان في كنفه رفعه الله فوق من أعرض عن طريقه..والاستعلاء بالإيمان يجعل المؤمن مترفعاً عن النزول إلى حضيض الكفر والمعاصي والانزلاق إلى سفاسف الأمور.. يحفظه من اليأس والشعور بالضعف والنقص أمام الكفار مهما بلغ جبروتهم وسطوتهم.. وهو ليس كبراً على خلق الله بل تواضعاً لله واستعلاء بمعيته وتأييده على أعدائه من أهل الزيغ والبهتان.

استغن به عمن سواه

فإنه والله يكفيك ويغنيك.. عنده كل ما تحتاج إليه وليس عند غيره..فاطلب ما عنده بطاعته.. ولا تطلبه عند غيره بمعصيته.

لا تركن إلا إليه

فهو الركن الشديد.. فعال لما يريد.. يلين لك الحديد..يؤويك مما تحذر.. ويظهرك على عدوك فتظفر.

لا تستكثر شيئاً على قدرته

فمن مقتضيات معرفته تعالى أن يوقن قلبك أنه على كل شيء قدير وأنه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.. فاسأله ما شئت وتوكل عليه في أمرك كله وأنت موقن بأنه لن يضيعك ولن يخذلك..فإن لم يجبك إلى ما طلبت فاعلم أنه قد ادخر لك خيراً منه.. وأنه ربما حفظك من فتنة لم تحسب حسابها حين سألته ما سألت.

كن مع الحق وأهل الحق

فلا معنى لمعرفتك بالله الحق إذا كنت تنصر الباطل وأهله.. فعبد الحق لا ينصر إلا الحق وأهل الحق.. ولا يشهد ولا يحكم إلا بالحق..ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين.. والحق مُرٌّ ولكن عاقبته حلاوة الإيمان تجدها في قلبك.. وحلاوة معرفته تزكي بها نفسك.. وحلاوة لقائه وهو عنك راض.

تلمس بركته

البركة أمر عظيم وفضل كبير قلما يلتفت إليه العباد.. فالحسابات المادية قد طغت على قلوب العباد..فتجد الواحد منهم يسعى في طلب المال من حله وحرامه لا يبالي.. بحجة أن ما عنده لا يكفيه.. ولو علم الحقيقة لاتقى الله تعالى وطهر ماله من الحرام والتمس بركة الله التي تُحَوِّل القليل إلى كثير.. وتجعل ما لا تظن أنه يكفيك تجعله يكفي ويفيض.. يحميك بها من مرض.. ويحفظك من بلاء.. يُشبعك بالقليل من القوت.. ويكسوك ويرضيك بالقليل من اللباس.. يغنيك عما لا يستغني عنه الآخرون.. ويبارك في وقتك وفي بدنك وفي عقلك وفي جوارحك..يبارك في زوجك وأولادك ويرزقك برهم وعونهم.. وكل هذه العطايا ما هي إلا بركة من الله تعالى لا ينالها إلا من تلمسها بطلب الحلال.. وبذل الوسع في أداء المهام والأعمال.. والإخلاص لله تعالى على كل حال.

لا تعظم في قلبك إلا هو

فهو العظيم وحده وكل من عداه صغير.. إلى عزته ذليل.. وفي جنابه ضئيل.. فإذا أمَرَ عَظُم في نفسك أمرُه.. وإذا زَجَر عظُم في قلبك زجرُه.. فلم تجرؤ على عصيانه..ولم تفزع إلا إلى رضوانه.

اجتنب مواضع بغضه وغضبه

إن لم يكن حياء منه أن يراك حيث نهاك..فليكن خوفاً من عقابه وسوء عذابه.. فإنه إن أبغضك لم ينفعك بعدُ حب محب.. وإن غضب عليك لا يغنيك عنه رضاء راض.

تواضع له ولخلقه

وهو الخُلُق الواجب لمن عرف صِغَره وكِبَر ربه.. لمن عرف ضعفه وقوة مولاه.. لمن عرف فقره وغنى خالقه.. تواضع فليس الكبر من شيم العبيد.. تواضع فذاك قدرك إن أطللت برأسك مستعلياً عنه أوشك أن تردها صاعقة عقابه..تواضع لعظمته يرفعك في كنف علوه..فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

فادعوه بها

ربي..

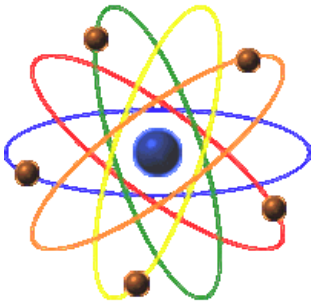

يا من خلقت الكون فأبدعت..

وعدَّدْتَ مخلوقاتك ونوَّعت..

فلا يحيط بها علمٌ إلا علمك ..

ولا يدركها بصرٌ إلا بصرك..

ولا يقوم عليها بالرعاية إلا أنت.

كل ذَرَّةٍ في الكون تدور فيها الكهارب حول النواة أنت تمسكها..

ولو لم تفعل لانجذبت إليها.. وزال الفراغ منها.. وانتهت..

فكم في الكون من ذرة!!

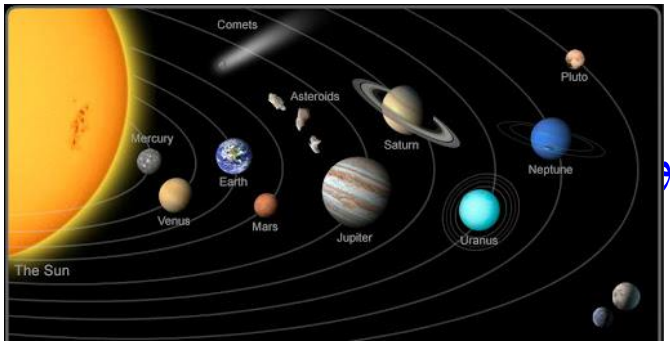

وكذلك في المجرَّة..

أنت تمسك بالكواكب تدور حول النجو

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾..

لا يتصادمون ولا يتزاحمون..

على كثرة في العدد وضخامة في الحجم..

لا يكاد عقل إنسان ضعيف أن يدركها على الحقيقة..

وكم في الكون من مجرة!!

ربي..

يا من بنيت السماء ورفعتها..

وبسطت الأرض وسخرتها..

سبحانك.. ما خلقت هذا باطلاً..

سخَّرت كل شيء لي ليخدمني..

حتى أستعين به على عبادتك..

فانشغلت بكل شيء عنك..

تزل بي قدمي في أوحال الذنوب والغفلة..

فأجد يد العفو والتوبة المبسوطة منك تنتشلني.. وترفعني.. وتطهرني.

أتقرب إليك باليسير من العمل.. فتقبل وتشكر..

وأنت الغني عني وأنا الفقير إليك..

فسبحانك.. أيُّ رب أنت!..

سبحانك أيُّ رب أنت!

يصيبني منك البلاء اختباراً وتطهيراً..

فقليلاً ما أصبر..

وكثيراً ما أجزع..

فتدركني رحمتك لترفع البلاء عني..

وتُظهِر ما كان في باطن المحنة من منحة..

ثم لا تجدني بعد ذلك شاكراً..

ثم لا تزال تتودد إلي بنعمك وأنت الغني عني..

وتحفظني من السوء بمحض جودك وكرمك..

فأي رب أنت!!

صفات الحمد كلها ما اجتمعت إلا لك..

فأنت وحدك أهل الحمد وأهل الثناء والمجد..

لك الحمد أنك أنت ربي لم تكل أمري لأحد سواك..

على قوتك وضعفي..

وعزتك وذلي..

وغناك وفقري..

ورغم ذلك ترعاني ..

وتقوم على شؤوني..

يا قيوم.. فلك الحمد..

تكفلت برزقي ورزق أولادي ..

رزقت قلوبنا معرفتك.. ومحبتك.. والخوف منك.. والرجاء فيك.. والتوكل عليك..

رزقت أرواحنا سمواً ترفعها به إلى مقام قربك وتطهرها من عوالق الأرض..

رزقت عقولنا علماً تنير به طريق دنيانا وآخرتنا..

رزقت أبداننا من ألوان الطعام والشراب والكساء والمأوى ما يفوق حاجتها توسعةً منك وفضلاً..

رزقتنا عافية في أسماعنا وأبصارنا وقوة على أعمال ديننا ودنيانا.. يا رزاق.. فلك الحمد.

ولم تشرك في حكمك أحداً.. فليس لأحد علينا سلطان إلا أنت.. يا واحد يا أحد.. فلك الحمد.

ربي..

هل أحبك لأنني أحتاج إليك وأفتقر إليك في كل شأن من شؤوني؟!

هل أحبك لفرط نعمك التي تغدق علي صباح مساء؟!

هل أحبك لأنك تعطيني ما أسأل وما لا أسأل؟!..

أم هل أحبك لأنك أهل لأن تُحَبَّ لِذَاتِك؟!..

فسبحانك لا أزال أفتقر إليك أبداً..

ولا تزال تتفضل علي بالنعم وإن لم أكن لها أهلاً..

وأنت قبل ذلك وبعده أهل لكل محبة..

فاللهم ارزقني حبك..

لا لأني أستحق حبك..

وإنما لأنك بكرمك أهل لأن تحبني..

فأنا صنعة يدك..

وفيَّ نفخةٌ من روحك..

وأشهد ألا إله إلا أنت.. لا أشرك بك شيئاً ولا أحداً..

اللهم أعني على فعل ما تحب وترك ما لا تحب..

وفقني إلى ما تحب واصرفني عما لا تحب..

اللهم اجعل لي وداً..

واحشرني فيمن يحشرون إليك وفداً..

واجعل لي حوض حبيبك محمد ﷺ وِرْداً..

واسْقِ فؤادي من محبتك ومحبته شَربةً لا أظمأ بعدها أبداً.

ربي..

قد رضيت بك رباً ..فهل رضيت بي عبداً؟

ورضيت بسيد الخلق محمد ﷺ نبياً.. فهل يرضى هو بي تابعاً؟

ورضيت بالإسلام ديناً.. فهل يرضى بي الإسلام منتسباً؟

ربي..

يا حي يا قيوم..

يا من لك الحياة الكاملة ..

لا تأخذك سِنَةٌ ولا نوم..

أعطيت كل حي حياته فهي هبة منك..

ولا بقاء لها إلا بإذنك..

تحيي وتميت..

تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي..

جعلت لكل حي أجلاً لا يتقدم عنه ولا يتأخر..

أحييت قلبي بمعرفتك بعد أن قتلته الغفلة والذنوب واللهو واللعب..

جعلتني ممن قلت فيهم:﴿كَانَ مَيْتاً فأَحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنَا لهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾

لك الحمد يا ربي على نعمة الحياة..

حياة القلب.. وحياة الروح.. وحياة البدن..

اللهم أحيني بمعرفتك..

وأمتني على الشهادة في سبيلك..

أحيني على الإسلام..

وتوفني على الإيمان..

ارزقني عملاً صالحاً ينتفع الناس به في حياتي وبعد موتي..

اللهم ابعث الحياة في أمة حبيبك محمدﷺ..

وأحيِ بها الأمم التي قتلتها الدنيا بزخرفها وشهواتها.. وغرتها قوتها وتجبرها..

اللهم إن البشر في أمس الحاجة لدينك وكتابك وسنة نبيك فأحيهم بها..

وابعث الحياة فيما مات من أخلاق الناس ومروءتهم..وحيائهم وتعففهم..وصدقهم وأمانتهم..

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..

أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

ربي..

أشكو إليك نفسي الراكنة إلى الدنيا.. الملتصقة بالأرض..

كلما أرادت أن ترتفع عنها.. اجتمعت عليها الأهواء والشياطين فأقعدتها..

فيا رب.. خذ بيد عبدك الضعيف المسكين..

وأَقِل عَثْرَته..

واشْحَذ همَّته..

وارفعه..

وحرره من قيود الأرض وأغلال الطمع والحرص..

وتَوَلَّ أمره..

فمن كنت وليَّه فقد كفيته.

ربي ..

إن الصغار يفسدون والكبار يصلحون..

الصغار يخطئون والكبار يغفرون..

الصغار يطلبون ويطمعون والكبار يعطون ويكرمون..

الصغار يجهلون والكبار يحلمون ويُعَلِّمون..

الصغار يلهون ويلعبون وقليلاً ما يجِدُّون ويعملون..

والكبار يرضون منهم بذلك ويشكرون ويعفون..

فياربي كلنا صغار وأنت وحدك الكبير..

فعاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله.

ربي..

يا من جل شأنك..

وعظُم قدرُك..

وعلا مقامك..

أين أنا منك..

وما أنا إلا ذرة في أرضك..

والأرض ما هي إلا ذرة في سمائك..

وسماواتك جميعاً لا تساوي شيئاً في كرسيك ولا في عرشك..

ثم تتجلى من عليائك..

من فوق عرشك وسمائك..

لتكلمني وتخاطبني بقرآنك..

تُعَرِّفُني بكمالك وجمالك وجلالك..

ترشدني إلى طريق رضوانك..

ترغبني في جناتك وتحذرني من نارك..

تُشَرّع لي ما تُصلِح به دنياي وآخرتي..

تفتح به قلوباً غُلفاً وأعيناً عُمياً وآذاناً صُماً..

ترشد الحائر وتهدي الضال..

تُعَلّم الجاهل وترفع العالم..

تحث على الخير وتنهى عن السوء..

فإذا بي قد هجرت هذا القرآن..

فقليلاً ما قرأته..

وقليلاً ما تدبرته لأفهم مرادك مني في آياته..

ثم قليلاً ما عملت بما فيه..

فيا رب..

على القلوب أقفالها وبيدك مفاتحها..

افتح قلبي وعقلي وبصري وبصيرتي لكلامك..

اجعله ينزل على قلبي كما ينزل الماء المبارك على الأرض الظامئة المشتاقة إليه..

لتُخرج ما في باطنها من الخيرات والبركات.. فتنتفع وتنفع..

اجعله ربيع قلبي ونور صدري..

وذهاب همي وجلاء حزني..

اجعله شاهداً لي لا علي.. وحُجَّة لي لا علي..

اجعلني ممن يقيم حروفه وحدوده..

ولا تجعلني ممن يقيم حروفه ويُضيّع حدوده.

ربي..

يا من خلقتني بيديك..

ونفخت فيَّ من روحك..

وكرمتني..

وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً..

احفظ عليَّ هذه الكرامة بالمداومة على طاعتك

والالتزام بطريقك المستقيم..

واحفظني من أن أدنس هذه الروح الطاهرة

بدنس الشرك والمعاصي والتقصير في طاعتك..

ولا تتركني لشهوات نفسي لتردني بعد الكرامة مهاناً..

وبعد العزة ذليلاً..

اللهم إني أعوذ بك من الكفر بعد الإيمان..

ومن الضلالة بعد الهدى..

ومن المعصية بعد الطاعة..

ومن البعد بعد القرب..

ومن الغفلة بعد الذكر..

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

ربي..

يا من تكفلت برزق الطيور..

تخرج من أوكارها خماصاً وتروح من فضلك بطاناً..

يا من ترزق الحيتان في قاع المحيط..

وترزق النمل في باطن الأرض..

يا من ترزق الأرواح نوراً يسمو بها إلى عنان السماء..

وترزق القلوب معرفة ترفعها بها إلى أعلى مقام..

وترزق الأبصار نوراً تريها به ما شئت من ملكك..

وترزق البصائر نوراً تهديها به في ظلمات الضلالة والتباس الأهواء والشبهات..

وترزق العقول علماً تهديها به في ظلمات الجهل..

وترفع به أصحابها درجات..

وترزق الأبدان قوتاً يبقيها ويقويها..

أخرجتني من بطن أمي لا أعلم شيئاً..

وجعلت لي سمعاً وبصراً وفؤاداً..

علمتني ما كنت به جاهلاً..

وقدرتني على ما كنت عنه عاجزاً..

وأغنيتني عن ما كنت إليه فقيراً..

وقويتني على ما كنت عليه ضعيفاً..

فيا رب..

أعنِّي على شكر هذه النعم بقلبي ولساني وأعمالي..

اجعلني من القليل الشكور..

احفظني من الشيطان إذا جاءني من بين يدي ومن خلفي..

وعن يميني وعن شمالي..حتى يشغلني عن شكرك..

افتح لي من لدنك باب رزق لا يغلق..

وألهم قلبي لكل نعمة منك شكراً يرضيك..

اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب..

وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب.

ربي..

يا من أحاط بكل شيء علماً وقدرة وتدبيراً..

تعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن..

وتعلم ما لن يكون ..لو كان كيف كان يكون ..

لا يعزب عنك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض..

وكيف تغيب الذرة عن علمك وقدرتك وهي قائمة بك..

تدور كهاربها حول نواتها بإذنك..

تمسكها بقدرتك.. وتُصَرِّفُها بحكمتك..

فيا رب..

يا من أحاط بكل شيء علماً..

علمني ما ينفعني..

وانفعني بما علمتني..

وزدني علماً..

وزدني تواضعاً واعترافاً بجهلي..

واستخدمني وما علَّمتني فيما يرضيك عني..

واستر ما علمت من سوء في باطني وظاهري عن عيون خلقك.

يارب..

يا من أحاط بكل شيء قدرة..

سَخِّر لي مما قدرت عليه ما تقربني به إليك..

وترفعني به في الدنيا ويوم لقائك..

وأعزني بذل الافتقار إليك..

وأجرني من أن أفتقر إلى غيرك..

أو ألجأ إلى سواك..

فليس غيرك يشفي المريض..

ويقضي الديون..

ويهدي الضال..

ويغني الفقير..

ويطعم الجائع..

ويكشف الضر..

ويفرج الكرب..

ويزيل الهم..

ويؤتي الملك من يشاء..

وينزعه ممن يشاء..

سبحانك..

القوة كلها بيديك فلا قوة إلا بك..

أغنني بك عن جميع خلقك.

يارب..

يا من أحاط بكل شيء تدبيراً..

دبِّر لي فإني لا أحسن التدبير..

قد قصر علمي وضعف عقلي..

وأنت ربي..

تقدر ولا أقدر..

وتعلم ولا أعلم..

وأنت علام الغيوب..

فاقدر لي الخير فيما قضيت..

ورضِّني به..

أعوذ بك أن أتهمك في قضائك..

أو أجزع عند ابتلائك..

أسألك الرضا عند القضاء..

والصبر على البلاء..

والشكر عند النعماء.

ربي..

إن الكريم إذا قدر عفا..

ومن أكرم منك وأنت الذي ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾..

ولولا حكمتك ورحمتك بخلقك أن تفتنهم الدنيا لأخرجت كنوزها

..

ولأعطيت كلاً منهم ما سأل وما لم يسأل..

ولم ينقص ذلك من خزائنك شيئاً ..

فيا من أعطاني أعظم ما في خزائنه وهو الإيمان بغير سؤال..

لا تحرمني أوسع ما في خزائنك وهو العفو مع السؤال..

يا من تبدل سيئات التائبين حسنات ما أكرمك..

يا من تضاعف للعاملين أجورهم إلى سبعمائة ضعف ..ما أكرمك..

يا من تربي لي صدقتي حتى تصبح مثل الجبل..

وما أنفقت إلا يسيراً.. وما هي إلا من رزقك..

وما استطعت الإنفاق إلا أن وقيتني شح نفسي..

وأعنتني على النفقة ..

ثم بعد ذلك تجزل لي العطاء والثواب على هذا النحو..

فأي كريم أنت!

يا من تعطي كل طامع في كرمك ممن يستحق وممن لا يستحق..

فيا رب إني طامع فيك..

فأعطني بكرمك لا بما أستحق..

أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري..

وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي..

وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي..

أسألك إيماناً لا يرتد..

ونعيماً لا ينفد..

ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد.

ربي..

يا من وسعت كل شيء رحمة وعلماً..

يا من كتبت عندك كتاباً:"إن رحمتي سبقت غضبي"..

اللهم إن كنتُ أهلاً لغضبك فأنت أهل لأن ترحمني..

وإن كنتُ أهلاً لعقوبتك فأنت أهل لأن تعفو عني..

وإن كنتُ أهلاً لحرمانك فأنت أهل لأن تعطيني..

اللهم لا تحرمني خير ما عندك بشر ما عندي..

اللهم عاملني بما أنت أهله ولا تعاملني بما أنا أهله..

أعوذ برضاك من سخطك..

وبمعافاتك من عقوبتك..

وبك منك..

لا أحصي ثناءً عليك..

أنت كما أثنيت على نفسك.

أستغفر الله..أستغفر الله..أستغفر الله..

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت..

خلقتني وأنا عبدك..

وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت..

أعوذ بك من شر ما صنعت..

أبوء لك بنعمتك علي..

وأبوء بذنبي..

فاغفر لي..

فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

ربي..

كم مرة دعوتك وأنا في كرب شديد وهَمٍّ كبير ففرجت عني..

كم مرة دعوتك في رخاء وفي شدة فما وجدتك إلا قريباً مجيباً..

وصلتَ بيني وبينك حبلاً لا يستطيع أحد قطعه..

ما أن تعرض لي حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة..

إلا رفعت إليك كفي متضرعاً..

وكلي يقين أنك لن تردني خائباً..

فأنت الحيي الكريم..

تستحيي أن يرفع إليك عبدك يديه ثم تردهما صفراً خائبتين.

ربي ..

يا من حرَّمت الظلم على نفسك..

وجعلته بيننا محرماً..

أعوذ بك أن أظلم نفسي..

أو أظلم أحداً من خلقك..

وإذا كنت ظلمت أحداً فأعني على رد مظلمته..

حتى لا ألقاك بها يوم القيامة حاملها على ظهري..

فإن لم أستطع ردها فتحملها عنى..

وارزقني عفو من ظلمتهم.. وارزقني العفو عمن ظلمني.

ربي..

إن من عبيدك من غرته قوته التي وهبته إياها..

فعاث في الأرض ظلماً وفساداً..

اللهم فاهدهم إلى الحق وكفهم عن ظلمهم..

فإن أصروا واستحبوا العمى على الهدى فخذهم أخذ عزيز مقتدر..

واكفنا شرهم بما شئت..

اللهم عليك بمن يتسلطون على رقاب الناس إذلالاً وقهراً..

اللهم عليك بمن يحارب الإسلام والمسلمين..

ويستبيح دماءهم وأعراضهم وأرضهم وديارهم..

اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك..

وأذقهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين..

يا من تقول للشيء كن فيكون..

اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك..

الذين يدفعون الظلم عن المظلومين..

ويحفظون دماء المسلمين وأعراضهم وأرضهم وديارهم..

اللهم أنت وليهم وناصرهم..

ليس لهم سواك..

اللهم فوحد صفهم..

وسدد رميهم..

واربط على قلوبهم..

أمِدَّهم بجنودك التي لا يعلمها إلا أنت..

واجعل نصرهم آية من آيات قدرتك وعظمتك..

ربي..

كما مننت علي بالطاعة ..مُنَّ علي بالقبول

وكما مننت علي بالدعاء..مُنَّ علي بالإجابة

وكما مننت علي بالهداية..مُنَّ علي بالثبات

وكما مننت علي بالإسلام.. مُنَّ علي بالجنة

وكما مننت علي بمعرفتك.. مُنَّ علي برضوانك

وكما مننت علي بعبادتك.. مُنَّ علي برؤية وجهك الكريم

يا حنان يا منان

يا قديم الإحسان.. يا ذا الجلال والإكرام

اللهم ارزقنا معرفتك كما تحب أن نعرفك..

وارزقنا عبادتك كما تحب أن نعبدك..

وارزقنا محبتك ورضوانك..

يا أرحم الراحمين.

آمين

وختاماً

أقول إن هذا الموضوع ليس له ختام.. بل هو بحر لا شاطئ له..

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾..

ولكن أود التأكيد على بعض المعاني:

- **الله** ربك أولى وأحق بأن تسعى للتعرف عليه.. لأن هذه المعرفة هي أول الطريق إلى بلوغ محبته ورضوانه ودار كرامته.
- **التأمل** هو مفتاح المعرفة..فأمعن النظر في نفسك.. وفي تعامل الله معك.. وفيما حولك من مخلوقاته.. وفيما تقرأ من كلمات وحيه.. واستعن به.. واجتهد في دعائه.. يفتح لك من أبواب معرفته ما لا تجده في كتاب ولا تسمعه من معلم.. ويقذف في قلبك من أنوار محبته وخشيته ما لا يحصل لك من صيام النهار وقيام الليل.. فتَفَكُّر ساعة خير من عبادة سنة.

- صفات الله تعالى وأفعاله لا تحصى.. ولا يعلمها على الحقيقة إلا هو.. وما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كقطرة في بحر.. ولكن المهم أنك كلما تعرفت على شيء من صفاته –تعالى– تقربت إليه بما تقتضيه هذه الصفة.. ودعوته بها.. فإذا كان هو الرحيم فكن رحيماً بعباده حتى يرحمك..واسأله باسمه الرحيم أن يرحمك.. وهكذا في كل ما تعلم من أسمائه وصفاته.
- أسأل الله تعالى أن يحيي قلوبنا بمعرفته.. وأن يرزقنا محبته ..وأن ينعم علينا برضوانه..وأن يلهمنا من الدعاء والثناء عليه ما يحب.. وما هو له أهل..وأن يجعل ما قرأناه وما كتبناه حجة لنا لا علينا..اللهم آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد العارفين وإمام المتقين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

والحمد لله رب العالمين